أساطير جبل كومكانغ

أساطير جبل كومكانغ

دار النشر باللغات الأجنبية
بيونغ يانغ · كوريا
١٩٩١

كلمة هيئة التحرير

تفتخر بلادنا بتاريخها التليد الذي يرقى إلى خمسة آلاف سنة، وتتباهى بتلك الثقافة اللامعة التي خلقتها عبر العصور. وتندرج ضمن هذه الثقافة الباعثة على الفخر العديد من الحكايات الشعبية والأساطير التي تحدرت إلينا خلفا عن سلف وتوارثتها الأجيال، جيلا بعد جيل.

وجبل كومكانغ الواقع في محافظة كانغواون بجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية جبل مشهور، وشهرته متأتية من روعة مناظره الطبيعية الساحرة، ومن ذلك القدر الوفير من الحكايات والأساطير التي نسجت حوله.

فالقمم الاثنا عشر ألفا المهيبة في هذا الجبل الأشم، وجروفه التيهورية وصخوره العجائبية لطالما ألهبت الخيال وكانت باعثا على صياغة الكثير الكثير من القصص المشوقة التي توارثناها عن أسلافنا الميامين.

وقد انتقت هيئة التحرير ٢٥ حكاية وأسطورة من بينها، وها هي تقدمها لكم مترجمة إلى العديد من اللغات الأجنبية، بما فيها العربية، تحت عنوان "أساطير جبل كومكانغ".

أيلول ١٩٩١

فهرس

الينبوع العجيب ١
السلحفاة التي أخفقت في العودة إلى قصر الملك التنين..... ٩
الأغنية الشعبية "الجريسة البيضاء" ١٤
حورية جبل كومكانغ ٢١
الصخرة المرآة ٣٦
زهرة دال القمرية ٤٣
ممر هيويانغ ٥٢
رسم على تنورة حريرية ٥٧
ممر إيسيمنيون ٦١
عجوز وادي مانيانغ ٦٦
صخرة مانغيانغ ٧٠
بويونغ وزانغساي ٧٩
أونساداري وكومساداري ٨٦
الصخرة الضفدعة ٩٢
كاهن من السماء يجرد من إكليله ٩٧
هاندول ودودول ١٠٢
صخرة الأرنبة البرية..... ١١٣

هانبونغ وبودوك ١١٩
صخرة زانغسو ١٢٥
كستنايات "نودو" ١٣١
الإخوة الثلاثة والمهر المشاكس ١٣٧
بنت "كومروسو" ١٤١
صخرة أونسون ١٤٥
القضاعة الماكر ١٥٢
الدب المتحسر على أكل البلوط ١٥٩

الينبوع العجيب

القمم المهيبة الباعثة على الروع والرهبة، الوديان السحيقة الفاتنة والغابات الكثيفة المتماوجة في جبل كومكانغ ... مرتع لكل أنواع الزهور المتفتحة في الربيع وتتحول إلى شعلة من الألوان الصارخة في الخريف؛ منظر خلاب ولا أروع.

بيد أنك لا تستطيع أن تتحدث عن جمال وروعة جبل كومكانغ من غير أن تأتي على ذكر مياهه.

إن هناك الكثير من الأساطير الشيقة جدا المنسوجة حول الجداول والغدران التي تجري وتخرخر في وديان ووهاد جبل كومكانغ؛ وهناك حتى أسطورة تتحدث عن ينبوع صغير تتفجر منه المياه على حيد شوار في منتصف جرف شاهق.

يحكى أنه كان في قديم الزمان رجل عجوز طيب القلب، أنيس ومجتهد يعيش مع زوجته في قرية أونزونغ بجبل كومكانغ.

كل يوم، كان العجوز يصعد إلى الجبل لجمع الأعشاب الطبية المشهورة هناك، بينما تنصرف امرأته إلى الاعتناء بحاكورة الخضروات أمام كوخهما، أو تجلس على المنول تحيك القماش من ألياف القنب؛ كانت حياتهما راضية هنية.

وذات نهار قائظ في عز الصيف، كان الرجل يشق طريقه صاعدا صوح الوادي أسفل قمة مانمولسانغ (قمة العشرة آلاف هيئة) ليجمع الأعشاب كعادته وفي يده عصا يتوكأ عليها.

كان الجو حارا جدا حتى إنه شعر بظمأ شديد، الأمر الذي حدا به إلى البحث عن الماء مع أنه لم يجمع من الأعشاب الشيء الكثير.

فإذا به يعثر على ينبوع مياهه صافية كالبلور عند حيد شوار في منتصف جرف شاهق. فأقبل من فرط العطش يعب من تلك المياه حتى الارتواء.

وفجأة أحس بالارتخاء يدب في أنحاء جسمه كله، كما لو كان ثملا. تثاءب عدة مرات ثم راح في سبات عند حافة الينبوع.

وحين استيقظ بعد غفوة مديدة، كانت الشمس قد دالت إلى الغروب فوق ممر أونزونغ.

"ويحى! لقد أخذتني الغفوة وتأخرت... علي أن أعود الآن." تمتم في سره وانطلق عائدا إلى كوخه، ناتعا جعبته الشبكية على كتفيه. وفي طريق العودة، شعر بنفسه خفيفا وبدفق فوار من الحيوية والنشاط حتى إنه بلغ كوخه قبل المغيب.

دلف إلى الفناء فوجد زوجته مشغولة بتحضير العشاء في المطبخ.

نظرت إليه، لكن بدا كأنها لا تعرفه.

جرت العادة أن تهرع حال وصوله إلى السياج المملد لتستقبله وتأخذ عنه جعبته. سلوكها الغريب هذا جرح شعوره، فقال موجها كلامه إليها بنبرة استياء ظاهر: "أرى أنك فقدت بصرك اليوم يا عزيزتي؟! لقد كنت فوق في الجبل أتسفع الحر، وها أنت تنظرين إلي كما لو كنت رجلا غريبا."

لما سمعت منه هذا الكلام، بانت أمائر الغضب على وجهها وصرخت فيه ومنكاش النار في يدها: "ماذا؟ هل جننت يا رجل؟ أو تحسبني زوجتك؟ هراء! تأدب يا فتى. كيف تجرؤ على الزعم بأني، وأنا الامرأة العجوز الشائبة، زوجتك؟ إلا تبا لك!"

مبهوتا، وقف الرجل لا يفعل شيئا سوى التفرس في وجه امرأته وهي

تتقدم منه شاهرة منكاش النار في يدها.

وتساءل بينه وبين نفسه ما إذا كانت قد أصيبت بلوثة أثناء غيابه. فهي لم تتعرفه، مع أنه لم يتركها إلا في صبيحة ذلك اليوم فقط!

الرجل العجوز يبحلق في امرأته الواقفة قبالته بعينين غبشاوين. وبغتة نزع جعبته الشبكية عن ظهره وأخرج منها مطبقية أكل ملفوفة بخرقة قماش ودفعها ناحيتها وهو يقول: "أليست هذه مطبقية الأكل التي أعطيتنيها هذا الصباح؟ أو تراك هرمت إلى هذا الحد؟"

قال ذلك، ومضى العجوز الغاضب إلى الجدول الذي ينساب قاب قوسين من كوخهما.

ولما بلغه، أقعى وغطس كلتا يديه في المياه الرقراقة، ليغسل وجهه. ولكنه عندما شاهد على صفحة المياه صورة منعكسة لوجه شاب يحملق فيه، جفل أيما إجفال حتى إنه سقط في الحال رابخا على عجيزته. عاد العجوز يبحلق ثانية في الماء، وعيناه ما برحتا تطرفان بشدة، ليجد الشاب إياه لا يزال ينظر إليه ويطرف بعينيه هو الآخر.

صورة الشاب المنعكسة على صفحة المياه، أعادت إلى ذاكرته صورته هو حين كان في شرخ الشباب.

(عجبا! هذا انعكاس وجهي أنا! أجل، كنت أبدو كذلك حين تزوجت.)

لمع ذلك في باله، فإذا بوجهه يشرق حبورا وتلمع أساريره ويكاد يخرج عن طوره من شدة الفرح.

"كيف حصل أن صرت شابا هكذا؟" سأل نفسه متعجبا.

وجعل العجوز يتفكر، ويتفكر مليا، وهو لا يني يتحسس وجهه بأنامله؛ ثم فجأة ضرب بكفه على ركبته وقال مخاطبا نفسه: (آه، عرفت! إنها مياه ذلك الينبوع ... إنها المياه المعدنية التي تعيد الشيوخ شبابا. ولهذا استطعت أن أعود إلى البيت من غير أن أتوكأ على عصاي. إلا ما أروع ذلك!)

دخل العجوز فناء كوخه مهرولا وأخبر زوجته عن المياه العجائبية التي شربها ذلك اليوم.

وهنا اتضح كل شيء للمرأة العجوز.

(يبدو كما لو كان حلما. أرجو ألا يكون مجرد حلم.) هجس ذلك لها،

إلا أنها هزت كتفيها بغتة فيما يشبه اللامبالاة واقتعدت بقوة على المصطبة الترابية وهي تقول: "يا للعار! لقد نيفت على السبعين، فكيف لي أن أعيش مع رجل بسن حفيدي؟"

فطن الرجل إلى ما يجول في رأسها. وقبل أن تطلع شمس الغد، كان قد خرج معها، قاصدا الينبوع العجيب في الوادي تحت قمة مانمولسانغ، معينا إياها على التسلق.

"ها نحن قد وصلنا. ذلك هو الينبوع الذي أعاد إلي الشباب،" هتف الرجل بامرأته واندفع صوب الينبوع كالمجذوب.

لما شاهدت العجوز التي كانت تتبع زوجها بصعوبة الينبوع حيالها، صاحت بأعلى صوتها مدهوشة: "يا للسماء!"

فعند فرضة الجرف، الأجرد تماما من الحشائش والأشنيات، كانت ثمة مياه صافية كصفاء البلور تتفجر من ينبوعها، مثيرة ضبابا رقيقا لكأنه السديم.

"والآن يا عزيزتي، اشربي من مياه هذا الينبوع حتى ترتوي."

وبطاس صنعه من ورقة شجرة، غرف العجوز من مياه الينبوع وقدمها إلى زوجته. فعبت هذه المياه المثلجة عبا. وسرعان ما غلبها نعاس، فنامت. وأثناء نومها، راحت تصغر وتصغر. في البدء، استحال شعرها الذي كان ببياض شروش البصل أسود فاحما، ثم تلاشت التجاعيد عن وجهها دون أن تترك وراءها أي أثر. وبعد قليل، استقام ظهرها المحدودب واستعاد جسمها كله حيويته ونضارته. وفي ظرف لحظات، كانت الحيزبون قد عادت صبية في عمر الورود.

(يا للروعة!) هتف العجوز في سره. ولمرأى زوجته وقد عادت صبية من جديد، كاد الرجل يخرج عن طوره من شدة الفرح. مد يده وهزها يريد إيقاظها:

"هيه! كفى نوما. هيا استيقظي! إنك الآن في ميعة الصبا مثلي أنا. وأكثر من ذلك، تبدين جميلة كاليوم الذي تزوجتك فيه."

وجعل يفرك يديها بيديه والفرحة لا تسعه. ففتحت المرأة عينيها

المسبلتين، ومالت على الينبوع لترى وجهها على صفحة مياهه.

"حقا إني لأبدو شابة كصبية. وحتى صوتي، صار طليا فتيا،" قالت ذلك منتشية من فرط ما انتابها من فرح وسرور.

"أنت الآن امرأة أخرى يا عزيزتي!"

"لم يعد هناك ما نحسده أو نشتهيه في هذه الدنيا!"

وأخذ الزوجان السعيدان يجولان بأبصارهما في المناظر الطبيعية من حولهما، وقد طار بهما السرور كل مطار.

ومن كبد السماء الزرقاء، فوق الجرف التيهوري الشاهق، أطلت الشمس مشرقة عليهما. وبات في استطاعتهما أن يريا قمتي تشايها وزيبسون الرائعتين من بعيد تسموان فوق بحر من السديم الذهبي.

"أ هذا حقا جبلنا كومكانغ يا عزيزي؟"

من فرط ابتهاجها بجمال وسحر المشهد المرتسم أمامها، قالت العجوز ما قالته كما لو أنه لم تره من قبل قط.

"بالتأكيد يا عزيزتي، هذا جبل كومكانغ الذي ترينه. لقد مضينا نعمل ونكد كل يوم لكسب قوتنا، وفاتنا أن نمتع ناظرينا بهذه المناظر الساحرة من قبل."

وطرفت عينا الرجل وقد غلبه تأثر عميق، وإذا به يقول منفعلا:

"لا مراء في أن جبل كومكانغ هو أجمل جبال الدنيا وأعظمها على الإطلاق."

"أجل، إنه لكذلك فعلا."

ولبث الزوجان العجوزان "الشابان" وقتا طويلا يمليان عيونهما بمشهد القمم الإثنى عشر ألفا والوديان الباعجة في جبل كومكانغ المهيب الخلاب. وداخلهما شعور غامر بالسعادة والاعتزاز لكونهما يقطنان هذا الجبل الأشم.

غادرا الينبوع والشمس قد دالت إلى الغروب فوق ممر أونزونغ. ومع ذلك، فقد استطاعا الوصول إلى قرية أونزونغ قبل دلوك الشمس إلى غسق الليل.

....

حين بلغ الرجل الغني في القرية ما حصل للزوجين العجوزين، غلبه الطمع واستبد به الجشع.

(غدا صباحا سيتوجه كل من في القرية إلى هناك ليشربوا من مياه الينبوع ولا ريب. فماذا أنا فاعل لو انضبوا الينبوع تماما؟) تساءل الغني في سره وقد جحظت عيناه كفقاعتين، ثم وجم. وبغتة، ضرب على فخذه في مرح وصاح "حسن جدا! علي أن أكون أول الواصلين" وبالفعل، لم يضع الوقت فخرج على عجل ومضى يتلمس طريقه وسط ظلام الليل الحالك، قاصدا الينبوع العجيب في الوادي أسفل قمة مانمولسانغ.

"ألم يقولوا بأنني سأعود شابا من جديد إذا ما شربت من مياه هذا الينبوع؟!" قال ذلك في طرب، وركع عند حافة الينبوع ثم انحنى وأخذ يعب منه بشراهة ما بعدها شراهة.

وبعدما شرب حتى انتفخ، اضطجع وغط في نوم عميق بالقرب من الينبوع. ولكن، إذ أنه شرب أكثر مما كان ينبغي، فقد انكمش جسمه وزم، حتى صار طفلا بحجم الأصبع.

الرجل الغني، وقد صار الآن مسخا قميئا، جعل يبكي ويعول طوال الليل ولا يفتأ يحبو دائر مدار الينبوع دون توقف.

وفي صبيحة اليوم التالي، تجمهر الشيوخ والمسنون في قرية أونزونغ ثم توجهوا، وعلى رأسهم الزوجان اللذان عاد إليهما الشباب، صاعدين معارج الجبل نحو الينبوع الذي يصنع الأعاجيب.

وهناك، شربوا جميعا من مياه الينبوع وصاروا شبابا من جديد. فأقبلوا يرقصون ويهزجون من شدة فرحتهم.

وفجأة سمع صوت بكاء خافت لطفل آت من الدغل المجاور. فأصاخوا السمع جميعا.

قاموا وتوجهوا نحو مصدر الصوت في الدغل، وهناك وجدوا طفلا ضئيلا بحجم الأصبع ينوح ويفحص الأرض برجليه.

"أ رأيتم في حياتكم طفلا بهذا الصغر يا ناس؟!"

"من تراه ترك هذا الطفل وحيدا في هذا القفر؟" تساءل القرويون فيما بينهم، ثم وضعوه على الراحات وجعلوا يتفحصونه بفضول واندهاش.

في تلك الأثناء، شوهدت زوجة الرجل الغني تصعد الجبل نحو الينبوع، وردفاها العريضان يتأرجحان خلفها ذات اليمين وذات الشمال.

ما إن شاهدها الطفل قادمة حتى توقف عن البكاء، وصاح يناديها: "ها أنذا هنا"، وأسرع نازلا لملاقاتها.

لكنه لم يستطع السير، فراح يتعثر ويسقط على وجهه في كل مرة حاول فيها أن يخطو إلى الأمام.

مشدوهة، بحلقت المرأة في منظر زوجها القميء هذا غير مصدقة عينيها، ثم أركنت إلى الفرار لا تلوي على شيء.

"احمليني على ظهرك يا عزيزتي ... خذيني معك أرجوك!" نادى الرجل الغني على زوجته بصوته الخافت وهو يدب على ركبتيه ويديه يريد اللحاق بها.

مشهد الرجل الغني وقد انمسخ على هذه الصورة الباعثة على الرثاء أثار ضحك القرويين، وظلوا يضحكون ويضحكون حتى طقت خواصرهم.

ويقال بأن القرويين الذين عاد إليهم الشباب مجددا بعد ما شربوا من مياه ذلك الينبوع العجيب، انبروا يعملون بجد واجتهاد، فياضين دائما بالحيوية والنشاط، وعاشوا بعدها حياة سعيدة، مديدة مديدة.

السلحفاة التي أخفقت في العودة إلى قصر الملك التنين

إذا قطعت مسافة قصيرة صاعدا مسالك الجبل على صوح وادي مانبوكدونغ، وادي العشرة آلاف شلال، ستطالعك بركة ماء صغيرة ... تلك هي "كوبوغي موت"، أي بركة السلحفاة.

بجانب البركة، تربض صخرة تشبه في شكلها سلحفاة متربلة، وبالقرب منها صخرة أخرى مفلطحة عريضة ترى فيها نقرة كبيرة شيئا ما.

ما سنرويه لكم فيما يلي حكاية شعبية عن تلك الصخرة التي تشبه السلحفاة، والنقرة البادية في الصخرة المفلطحة العريضة بمحاذاتها.

يحكى أنه كانت تعيش في غابر الزمان سلحفاة في قصر الملك التنين القابع في أعماق البحر الشرقي.

ذات يوم، سمعت تلك السلحفاة أخبارا مشوقة من بعض أسماك الترويت التي قيد لها أن تسرأ بيوضها في نهر أونزونغ بجبل كومكانغ وتعود إلى البحر.

وعلى حد ما جاء في خبرية أسماك الترويت تلك، فإن جبل كومكانغ

جبل ساحر تطبق شهرته الآفاق؛ ومجرد النظر إليه كفيل بأن يقوي البصر الضعيف. لذا، مثلت السلحفاة أمام الملك التنين والتمست منه أن يسمح لها بزيارة جبل كومكانغ.

الملك التنين استجاب حالا لطلب السلحفاة المجتهدة الطيبة، لكنه أخبرها بأن عليها أن تحرص على العودة قبل أن تتساقط أوراق القيقب.

"سمعا وطاعة يا مولاي،" أجابته السلحفاة بلا تردد.

مبتهجة، بل قل نشوانة، انطلقت السلحفاة في رحلتها الطويلة إلى جبل كومكانغ.

وإدراكا منه أن السلحفاة لا يمكن إلا أن تكون بطيئة الحركة، استخدم الملك التنين عصاه السحرية ليشق لها نفقا يوصلها رأسا إلى وادي مانبوكدونغ في جبل كومكانغ.

والنقرة في الصخرة المفلطحة العريضة هي مخرج النفق الذي أحدثته عصا الملك التنين السحرية، على ما يقال.

وعبر النفق، زحفت السلحفاة لتجد نفسها بعد حين في قلب وادي مانبوكدونغ.

"ياه! يا للروعة!"

انبهرت السلحفاة بالمشهد الآسر المنبسط أمام ناظريها.

كان الوقت خريفا، فكان الوادي بأكمله كناية عن شعلة متوهجة من أوراق الخريف الملونة.

وثمة شلال هادر يهوي من فوق جرف هار، مرسلا سحبا فضية من الرذاذ تشكل بدورها سديما بديعا يغشي السماء.

وأسفل مهوى الشلال تقع بركة طافحة بمياه بلورية صافية زرقاء تحاكي زرقة السماء.

مفتونة بهذا المشهد البديع الذي يسحر الألباب، وقفت السلحفاة حيث هي لا تريم حراكا برهة طويلة، ثم انتبهت إلى نفسها فمضت إلى البركة

ودارت دورة حولها لتلقي نظرة عليها.

وكما قالت لها أسماك الترويت، بدا لها كما لو أن بصرها بدأ يتحسن.

فدارت حول البركة دورة أخرى. وكانت كلما أطالت النظر إليها، ازدادت جمالا في نظرها وأوقعت رهبة أشد في نفسها.

وقد بلغ افتتان السلحفاة بالبركة الزرقاء حدا، حتى إنها لم تعد تريد مبارحة المكان بحال.

فجعلت تطوف حولها وتطوف، تارة تعب من مائها الصافي، وتارة أخرى تذوق ثمار الزعرور البري الناضجة التي تكثر عند حوافها.

وكرت الأيام تلاحق الأيام.

والسلحفاة ما فتئت تطوف حول البركة، وأكملت لحينه ما لا يقل عن خمسين دورة. وقد سها عن بالها تماما أنها يجب أن تعود إلى قصر الملك التنين في الموعد المضروب.

وذات يوم، دنت السلحفاة من حافة البركة لتشرب، فراعها أن تجد أوراقا حمراء وصفراء متناثرة هنا وهناك على وجه البركة.

رفعت في الحال رأسها ونظرت حولها هاجسة.

فوجدت الأشجار وقد صارت كلها عارية تقريبا من أوراقها الخريفية الملونة.

(ويحي! ماذا أنا فاعلة الآن؟) قالت السلحفاة لنفسها، وقد تذكرت كلمات الملك التنين لها بوجوب العودة قبل تساقط أوراق القيقب.

(سينالني منه عقاب من جراء تأخري في العودة،) هذا ما تبادر إلى ذهنها قبل أي شيء آخر.

وبنفس يشيع فيها القلق، أسرعت السلحفاة نحو النقرة في الصخرة التي أتت منها؛ وضعت رأسها فيها وهمت بالدخول.

ولكن، ويا للأسف، كان جسم السلحفاة أكبر من أن يدخل فيها.

فجعلت تبرم جسمها وتلوي كتفيها، محاولة إقحام نفسها في النقرة. إلا

أن محاولاتها ذهبت كلها أدراج الرياح، إذ كانت النقرة أصغر من أن تسمح لها بالمرور.

(جئت من هذا النفق، فما المشكلة يا ترى؟) تساءلت السلحفاة متعجبة.

سحبت السلحفاة رأسها من داخل النقرة وأخذت تفكر في الأمر. حكت دماغها بحثا عن جواب. وقامت بمحاولة أخرى لولوج النقرة لعل وعسى. ولكن عبثا حاولت. هنا تهاوت السلحفاة، وقد هدها التعب ونال منها الإعياء، تهاوت على الصخرة المفلطحة العريضة وهي تلهث.

ففي الأيام التي قضتها وهي تمتع ناظريها بمناظر وادي مانبوكدونغ الخلاب وتشرب من مياه البركة المشبعة بخلاصة مقويات الإنسام البري وقرن الأيل، ازدادت السلحفاة سمنة من غير أن تفطن إلى ذلك قط.

ولا أحد يدري متى تحولت السلحفاة إلى صخرة فيما هي تحاول وتحاول مستميتة حشر نفسها داخل النقرة، وكل أمنيتها أن تعود إلى قصر الملك التنين.

الأغنية الشعبية "الجريسة البيضاء"

كثيرة هي الأغاني التي تتغنى بجبل كومكانغ، تلك البقعة الساحرة من الأرض التي تسبي العيون بجمالها، وأكثر من ذلك بقعة يطيب العيش فيها.

الوديان تكسوها حلة قشيبة من عرائش الاكتينيديا والعنب البرى؛ وعلى منحدرات الجبال وبجانب جداول المياه، تنتشر نباتات نادرة الوجود كالفرسيتية البيضوية، التي طالما نظمت عنها العديد من الأغاني على مر السنين.

ومن بين تلك النباتات النادرة الجريسة البيضاء في وادي أوكريودونغ ذات الشهرة الطائلة لطعمها اللذيذ ومنافعها الطبية الهائلة. والقصة التالية حكاية فولكلورية عن تلك النبتة العجائبية.

يحكى أنه كان في قديم الزمان صبية تدعى إيبون تعيش في قرية تفصلها مسافة بعيدة عن جبل كومكانغ.

وإيبون، كما يستدل من اسمها، كانت بارعة الجمال وطيبة القلب للغاية.

خلال النهار، كانت تعين والديها بهمة لا تفتر في أعمال الزراعة؛ وعند العشية تحيك القنب على ضوء القمر المنير.

وتواردت الأيام وكرت السنون، وإذا هي الآن قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها، سن الزواج.

فزفت إلى شاب مجتهد وطيب القلب مثلها يدعى كانغساي، وسط تهاني وتبريكات أهالي القرية الطيبين.

ومنذ اليوم الأول من حياتهما الزوجية، عاش كانغساي وإيبون في سعادة وهناء.

وذات يوم من أيام الربيع، وفيما كان كانغساي يجمع الحطب على صوح جبل شديد الانحدار، زلت به القدم فسقط في المهوار وأصيب بجرح بليغ في رأسه لزم من جرائه الفراش.

بقلب مثقل بالهم، كما لو أن حجرا كبيرا يطبق عليه، بقيت إيبون إلى جانب زوجها وهو طريح الفراش يتوجع ويئن طول الوقت.

"واها ثم واها يا كانغساي!... ماذا أعمل لك؟!"

هكذا كانت إيبون تمضي اليوم بعد اليوم، لا بل مضت عليها سنة كاملة وهي تذرف هكذا دموعا مريرة، وقلبها يكاد ينهصر من فرط الكرب.

وفي أحد الأيام، عرج عليها كبير شيوخ القرية وقال لها بأن جذور الجريسة البيضاء، مطهية على نار خفيفة، تعد أفضل دواء لزوجها، وهي وحدها ما سيوقفه على قدميه من جديد.

"الجريسة البيضاء؟!"

وتهلل وجه إيبون فرحا عندما سمعت منه ذلك.

لكنها لم تكن قد رأت الجريسة البيضاء من قبل قط، وإنما سمعت عنها أقاويل ليس إلا. فكان أن عاودها الحزن من جديد، لا تعرف كيف ومن أين تأتي له بالجريسة البيضاء.

فقبعت تطلق تنهدات خافتة وهي تحدق في وجه كانغساي الشاحب الممدد أمامها.

وفجأة، برقت في خاطرها فكرة. فهبت واقفة من فورها وسوت شريط سترتها. ثم مالت على كانغساي وهمست في أذنه:

"أرجوك، تحمل بعد قليلا يا عزيزي إلى أن أعود."

ثم غادرت المنزل وفي ذراعها سلة خيزرانية كبيرة.

توجهت رأسا إلى عجوز يعيش في خلوات جبل ناء ويمتهن زراعة الأعشاب الطبية.

وبعد أن سمع ما قالته، هز العجوز رأسه موافقا ونصحها بأن تقصد وادي أوكريودونغ بجبل كومكانغ لتحصل على الجريسة البيضاء هناك.

وحدد لها الطريق التي يجب أن تسلكها للوصول إلى الوادي المذكور، لا بل إنه رسم لها صورة تقريبية للجريسة البيضاء، ضالتها.

"أشكرك، أشكرك جزيل الشكر أيها الشيخ الموقر."

قالت ذلك، وانحنت للعجوز انحناءة شديدة.

وانطلقت إيبون على الفور في رحلتها الطويلة والشاقة إلى جبل كومكانغ، ورسم الجريسة البيضاء في عبها.

شوارات منصبة وأنهار جارفة تقف في طريقها.

فحين كانت الجروف تنتصب أمامها، كانت إيبون تتسلقها شبرا شبرا وفترا فترا؛ وحين كانت الأنهار تعترض سبيلها، كنت تجدها تقوم بدورة طويلة طويلة تمتد حتى عدة أميال.

لكن مجرد التفكير في كانغساي وهو يئن في فراش المرض كان يبدد مخاوفها ويزيل عنها كل أثر للتعب.

وأخيرا، وبعد مسيرة ثلاثة أيام بلياليها، وصلت إيبون إلى وادي أوكريودونغ بجبل كومكانغ.

كان الوادي مكسوا ببساط سندسي من الأزهار الجميلة على أنواعها، وكانت كلها أرجة يتضوع منها شذا عطر يثمل الرؤوس.

"أيها الجريسة البيضاء يا ترى؟" أخذت تسأل نفسها؛ جائلة ببصرها فيما حولها.

مدت يدها وأخرجت رسم الجريسة البيضاء من عبها.

أنعمت النظر فيه ثم شرعت تفتش وتبحث عن الزهرة المنشودة في كل اتجاه. بيد أنها لم تعثر لها على أي أثر.

"ولم لا أراها؟ .. لم لا أرى الجريسة البيضاء؟" هتفت إيبون، وقلبها يخفق خفقانا شديدا.

ومع تنهدة لهفى صادرة من الأعماق، حولت إيبون ناظريها نحو الوادي المقابل.

وللحال التمع في عينيها بريق المفاجأة.

فعلى الطرف الأقصى من الوادي رأت أزهارا ناصعة البياض تبتسم لها، كما لو أنها تومئ إليها أن تدنو منها.

"أوه، إنها الجريسة البيضاء بذاتها."

أطلقت صيحة الفرح هذه وانفلتت كالسهم راكضة نحوها.

جريسات بيضاء بزهرات في كامل تفتحها تتوج سويقات قوية الزند تتمايل برفق مع هبات النسيم العليل.

"أ تراك أنت الجريسة البيضاء التي أبحث عنها بكل جوارحي؟"

كادت إيبون تخرج عن طورها من شدة الفرح وهي تمسد برفق سويقات الجريسات البيضاء. وبمنتهى الحرص والحذر، شرعت تستخرج جذور إحدى الزهرات من الأرض. كانت الجذور قوية وغليظة حتى إنها ملأت نصف سلة الخيزران تقريبا. ثم عاودت استخراج جذور زهرة أخرى من الجريسات البيضاء ووضعتها في سلتها.

وفي نشوة البهجة الغامرة، وجدت إيبون نفسها تغني منطربة:

جريسة، جريسة، جريسة...
جريسة جبل كومكانغ البيضاء بكانغواون.
جذور زهرة منك أو زهرتين
كافية لملء سلة كبيرة.
ايهيو، ايهيو، ايهيو...
مرآك بهجة للنفوس،
بهاؤك متعة للناظرين!

وبعد هنيهة، رفعت رأسها، فرأت جريسة بيضاء طالعة من فلع في صخرة هناك.

فإذا بأبيات أخرى تخرج تلقائيا من فمها:

جريسة، جريسة، جريسة...
جريسة جبل كومكانغ البيضاء بكانغواون.

أ تراك تنبتين في فلع الصخور
بعدما لم تجدي مكانا تستوطنين فيه؟
ايهيو، ايهيو، ايهيو...
مرآك بهجة للنفوس،
بهاؤك متعة للناظرين!

حاملة سلتها المليئة بجذور الجريسة البيضاء، أسرعت إيبون نازلة الوادي المحاذي لبركة كوريونغ، بركة التنانين التسعة.

وبخطى تنهب الأرض نهبا، اتجهت إلى بيتها وسلة الخيزران تتهادى على ذراعها.

وعندما وصلت إلى البيت، وجدت زوجها وقد اشتد عليه المرض وساءت حالته كثيرا.

"أيه يا عزيزي!" هتفت به بصوت ملهوف وأسرعت تقتعد بجانب فراشه وتكفكف حبات العرق البارد عن جبينه.

ثم قامت ودخلت المطبخ. وبسرعة أشعلت نارا وسمطت جذور الجريسة البيضاء وغلتها في إبريق.

وبعد ذلك عملت على قليها بزيت السمسم ومن ثم تبلتها بشيء من الصلصة للتنكيه.

وعندما استوت، حملتها إلى زوجها وقالت له وهي تجلس إلى جانبه: "كل، كل يا عزيزي. هذه هي الجريسة البيضاء التي أحضرتها لك من جبل كومكانغ."

فإذا بالغصة تعلو حلقه فيما هو يرى كل هذا الإخلاص والتفاني منها.

"شكرا، شكرا لك يا زوجتي العزيزة!"

وشد كانغساي بحرارة على يدي إيبون، لكن الكلام ما واتاه بحال.

ولم يمض يوم واحد على تناول كانغساي جريسة جبل كومكانغ البيضاء حتى عادت إليه صحته وقام من فراش المرض.

فكادت الدنيا لا تسع إيبون من فرط السرور.

وبقلب مزده ووجه يشع بالحبور، خرجت إيبون إلى العين لتملأ جرتها.

وهناك غنت، غنت تلك الأغنية التي ترنمت بها فيما هي تستخرج جذور الجريسات البيضاء في جبل كومكانغ:

جريسة، جريسة، جريسة...
جريسة جبل كومكانغ البيضاء بكانغواون.
جذور زهرة منك أو زهرتين
كافية لملء سلة كبيرة.
ايهيو، ايهيو، ايهيو...
مرآك بهجة للنفوس،
بهاؤك متعة للناظرين!

صوتها العذب جذب القرويين الذين صادف وجودهم حول عين الماء.
وكانوا كلما سمعوا الأغنية، ازدادوا شغفا بها.
وشيئا فشيئا، راح القرويون يدندنون ويترنمون بالأغنية على نحو ما سمعوها من إيبون.
وإذا بالأغنية تنتقل من فم إلى فم وتصبح على كل شفة ولسان.
هكذا خرجت إلى الوجود "أغنية الجريسة البيضاء"، الأغنية الشعبية الشائعة في كوريا إلى يومنا هذا.

حورية جبل كومكانغ

فيما لو تسلقت الدرجات الحجرية في صخرة كوريونغ الشديدة الانصباب، بعدما تكون قد متعت ناظريك بمنظر بركة كوريونغ البديع، ثم عبرت الجسر المعلق ونظرت إلى تحت من فوق الصخرة الناتئة هناك لكأنها معلقة في الفضاء، سترى مشهدا ولا أبهى ... سترى ثماني برك زرقاء، أشبه ما تكون بخرزات المسبحة قابعة بوداعة في قعر الوادي المحاط بالأجمات الخضراء من كل جانب، والماء ينساب من واحدة ليصب في أخرى كخيط من اللجين الموصول يكرج من مهوى إلى مهوى.

تلك هي "بالدام" المشهورة، أى البرك الثماني، أحد أبرز معالم جبل كومكانغ على الإطلاق. وهذه السلسلة من البرك الدردورية المحفورة عميقا في قلب الجبل نسجت حولها حكاية أسطورية ظلت تتوارثها الأجيال منذ غابر الأزمان.

كان يا ما كان في قديم الزمان قرية تدعى أوكريودونغ تستكن في ولاج قصي من أحد وديان جبل كومكانغ، حيث توجد بركة كوريونغ.

إلى الخلف من القرية، تشهق صخرة تشونهوا التي تشبه في هيئتها بتلات زهرة جميلة عملاقة؛ ومن أمامها، ينساب جدول ماء صاف رقراق ذو خرير عذب.

في قرية أوكريودونغ الساحرة هذه، كان يعيش حطاب شاب يدعى باو مع أمه الأرملة المسنة.

كان باو يحب جبل كومكانغ، الجبل الذي ولد وترعرع فيه، حبا جما. ففي الربيع كان يزرع الأزهار على التلال خلف وأمام قريته ويعتني بها عناية فائقة، كما كان يسهر بحرص مماثل على مآلف الطيور ومظان الحيوانات البرية التي كانت تسرح وتمرح هناك.

وعندما كان يجمع الحطب، لم يكن باو ليلمس الأشجار الحية قط، بل كان يحتطب الأشجار الميتة فقط ويلملم الأغصان الساقطة دون سواها.

فكان محط تقدير أهالي قريته لاجتهاده وطيبة قلبه. وهذا ما كان يسعد أمه أشد السعادة.

بيد أنك كنت تجدها مهمومة على الدوام من جراء هاجسها الذي لا يفارقها بأنها فقيرة، بل وأفقر من أن تستطيع إيجاد زوجة لوحيدها باو.

وذات يوم من أيام الصيف كان باو، جريا على عادته، يجمع الحطب في الجبل.

وفيما هو يحزم حزمة من الحطب، إذا بأيل يندفع كالسهم خارجا من الدغل، مطاردا على ما يبدو من شخص ما، وكانت قائمته الخلفية تنزف دما.

واتجه الأيل رأسا إلى باو وهو يظلع.

"النجدة! الصيادون يطاردونني ... ساعدني أرجوك!" توسل إليه بصوت لاهث.

وفي الحال، حل الشاب الشفوق حزمة الحطب وخبأ الأيل داخلها. ثم تظاهر، وعلامات البراءة على وجهه، بالانهماك في حزم حزمة حطب أخرى.

وبعد لحظات، سمع صوت خشخشة آتية من الدغل كما لو أن أحدهم يفتش فيه. ثم ظهر له عدة صيادين ملتحين دفعة واحدة.

"أنت أيها الحطاب الشاب! هل رأيت أيلا يمر من هنا؟" بادره أحدهم بالسؤال وهو يدنو منه.

فاشتد عندئذ الوجيب في قلب باو. لكنه حاول ما استطاع أن يتمالك أعصابه ويحافظ على هدوئه.

"قبل لحظة لمحت بالفعل أحد الأيائل يعدو في هذا الاتجاه وهو

يعرج." وأشار صوب الأخدود المظلم القابع أمامه.

"مفهوم،" قالها الصياد بانتتار.

وبعد أن سوى الصيادون من وضع جعبهم على ظهورهم، اندفعوا نحو الأخدود الذي أشار إليه الفتى. وعندئذ فقط تنفس باو الصعداء ومسح العرق المتفصد من جبينه. ثم اقترب بحذر من حزمة الحطب وقال:

"أنت في أمان الآن أيها الأيل، بإمكانك الخروج."

وفك باو حزمة الحطب.

وجد الأيل يرتجف وقائمتاه الأماميتان تصطكان معا، وهو يرنو إليه بعينين خائفتين.

"لا تخف! لقد ابتعد الصيادون عنا الآن."

وحمل باو الأيل بكلتا ذراعيه ووضعه بكل تؤدة على العشب. ثم نزع عنه شريط سترته وضمد به بعناية قائمة الأيل الخلفية النازفة. فإذا بالدموع تترقرق في عيني الأيل، تأثرا بما لقيه من حنان باو وعطفه.

ركع الأيل أمام باو وقال:

"لقد أنقذت حياتي ولن أنسى ما حييت لطفك ومعروفك. لسوف أساعدك بكل ما أستطيع يا سيدي، فهلا أخبرتني عن حاجة أقضيها لك."

فشعر باو عندئذ بعاطفة قوية تجاه الأيل، فقال:

"العفو ... العفو! ليس لي من حاجة أطلبها منك، فاذهب بسلام الآن."

ودفع الأيل برفق ليذهب في حال سبيله.

لكن الأيل لبث في مكانه، كأنه كاره أن يذهب ويتركه. ثم ركع ثانية أمامه، قائلا:

"سأزورك في بيتك ذات يوم لأعرب لك عن امتناني وعرفاني، ولكي أرى أطفالك أيضا."

لما سمع باو منه ذلك، ضحك ضحكة عالية ورد عليه:

"لا مانع لدي في أن تزورني في بيتي، إنما ليس عندي أطفال ولن تجد أحدا يرد لك التحية ... ها، ها، ها!"

وقهقه باو من جديد وهو يمرر كفه برفق على رأس الأيل، ثم أخبره بأنه لم يتزوج بعد.

"أ حقا ما تقول؟"

حالما سمع الأيل منه ذلك، تلألأ وجهه بشرا، وأردف : "إذا كان الأمر كذلك، فلدي فكرة رائعة لك."

ودنا الأيل من باو وهمس له:

"إذا توغلت صاعدا في هذا الوادي، ستطالعك ثماني برك كبيرة في قلب الجبل. في الخامس عشر من كل شهر، تنزل الحوريات من السماء إلى تلك البرك على متن قوس قزح للاستحمام فيها."

واقترح عليه الأيل أن يختبئ سلفا بالقرب من البرك ويختطف الغلالة المجنحة العائدة للحورية التي تعجبه أكثر من غيرها ويخفيها عن الأعين.

"فمن دون الغلالة المجنحة، لا تقوى الحورية على الصعود إلى السماء. وعندها تقدم بطلب يدها، ولن يكون أمامها عندئذ من خيار سوى أن تقبل وتتزوجك."

لدى سماعه هذا، أحس باو كما لو أنه يحلم في منامه.

"ولكن إياك ثم إياك أن ترد إليها الغلالة المجنحة قبل أن يصير عندك أربعة أولاد،" أردف الأيل منبها، ومن ثم ابتعد وهو يخب حيث توارى داخل الأجمة.

وانقضت بضعة أيام، فإذا هي صبيحة الخامس عشر من ذلك الشهر.

أخبر باو أمه بالقصة كاملة غير منقوصة، وخرج قاصدا المكان كما أشار إليه الأيل.

وبالفعل، وجد هناك ثماني برك كبيرة مستديرة كالبدر في تمامه تتراصف على صف مستقيم في قعر الوادي السحيق وتحف بها الغابات الكثيفة من كل جانب.

منظر البرك الثماني الفاتن هذا أخذ بلب باو، فوقف هناك كالمسحور.

وبعدما متع ناظريه برؤية البرك الثماني، بركة بركة، وأعجب بها ما طاب له الإعجاب، تناهى إلى سمعه فجأة صوت خافت لمزمار يشبي آت من أعالي السماء.

فأسرع باو كالمذهول بالاختباء خلف صخرة ضخمة، وعيناه أبدا شاخصتان نحو كبد السماء.

صوت المزمار اليشبي يعلو ويعلو، وما عتم أن رأى قوس قزح ينزل على الوادي فيما يشبه القنطرة فوق وسط أكبر البرك الثماني.

وبعد ذلك ببرهة وجيزة، شاهد ثماني حوريات يرفلن في غلالات مجنحة ينزلقن نازلات على قوس قزح إلى البرك الثماني.

على ضفاف البرك، راحت الحوريات يسرحن ويمرحن ضاحكات هازجات، وهن يستمتعن بطراوة النسيم العليل.

ثم خلعن عنهن غلالاتهن المجنحة وعلقنها على أغصان الشجر قبل أن يغطسن في الماء مقهقهات.

الحوريات في الماء يمتعن أنفسهن؛ تارة يغسلن وجوههن، وتارة أخرى يتراشقن بالمياه الأشبه بالمرآة المصقولة، غافلات تماما عن مرور الوقت.

مشهد يراه باو لأول مرة. فجعل يسترق النظر إليه، محاذرا أن يفتضح أمر مخبئه وراء الصخرة. ودون أن يراه أحد، انسل من مكمنه واختطف الغلالة المجنحة للحورية التي استهوته أكثر من سواها وخبأها طي سترته حسبما أشار عليه الأيل.

وبعد انقضاء ريث من الوقت غير قصير، سمع صوت المزمار اليشبي من جديد آتيا من السماء. وكان إشارة استدعاء للحوريات لكي يعدن من حيث أتين.

فخرجت الحوريات من البركة وشرعن بوضع الغلالات المجنحة عليهن، تمهيدا للصعود إلى السماء.

لكن واحدة منهن شوهدت تلف وتدور حول البركة، وقد بان الذهول في عينيها وبدت في حيرة تامة من أمرها.

"أونبيول ... ماذا دهاك؟" سألتها أكبر الحوريات سنا.

"لا أجد غلالتي هنا يا أختاه." قالتها بصوت باك ويشيع منه القلق والخوف.

"ماذا!؟"

"غلالتك مفقودة؟"

انتابت الدهشة كل الحوريات وتحلقن حول أونبيول مستطلعات.

ثم تفرقن في كل اتجاه حول البركة بحثا عن غلالة أونبيول المجنحة. لكنهن لم يعثرن لها على أي أثر.

في تلك الأثناء، كان قوس القزح قد تدلى فوق المكان حيث توجد الحوريات، وأخذ صوت المزمار اليشبي يعلو ويعلو، حاثا إياهن على الإسراع بالعودة.

"يا ويحي!... وماذا عساي أفعل الآن؟"

القلق يستبد بالحوريات جميعا، ومن فرط ما ساورهن القلق، رحن يفحصن الأرض بأقدامهن ملهوفات.

"لا عليك يا أونبيول! عندما نعود إلى السماء، سوف ندلي لك بمشكاة يشبية تساعدك في العثور على غلالتك المفقودة. وإذا ما وجدتها، انتظرينا حتى الخامس عشر من الشهر الآتي." قالت لها الحورية الكبرى ذلك وهي تربت على كتفها كمن يواسيها.

فتساءلت أونبيول في يأس وقنوط:

"ويلي! كيف أستطيع أن أبقى هنا بمفردي بعد أن تغادرن أنتن جميعا؟"

"نحن آسفات يا أونبيول! أرجوك أن تنتظري إلى ذلك الحين. فما باليد حيلة."

واعتلت الحوريات قوس القزح، الواحدة تلو الأخرى.

"أخواتي!... يا أخواتي!..."

أونبيول تصرخ ملتاعة، وتقفز محاولة اعتلاء متن قوس القزح. بيد أنها لم تستطع ذلك لعدم ارتدائها غلالتها المجنحة.

فشحب وجهها وانفجرت بالبكاء الشديد.

"أنبيول!"

"يا أونبيول!"

الحوريات ينادين على أختهن أونبيول بأعلى صوتهن فيما هن يصعدن قوس القزح عائدات إلى السماء.

"أخواتي!... يا أخواتي!..."

متروكة وحيدة على طرف البركة، راحت أونبيول تضرب الأرض بعقب قدمها في يأس وترسل ناظريها إلى السماء حيث توارت أخواتها قبل لحظات.

مشهد أونبيول هذا لوع قلب باو. ولعل أشد ما عذبه وأمضه ذلك الشعور بالذنب لكونه السبب في فراقها عن أخواتها.

لكن جمالها فتنه وحسنها سحر لبه، حتى إنه لم يفكر في إعادة الغلالة المجنحة إليها بأي حال.

(سأهتم بأمرها تماما مثلما كانت الحوريات أخواتها يفعلن وأكثر. ولربما سامحتني فيما بعد على ما فعلته بها اليوم.) هذا فقط ما هجس له في تلك اللحظة.

وخرج من مخبئه خلف الصخرة، محاذرا أشد الحذر ألا يرعبها.

"ع... عفوا يا آنسة!" استجمع باو كل شجاعة لديه لينا ديها.

انتاب أونبيول الهلع الشديد عندما سمعت صوت إنسان يناديها. فاستدارت وبحلقت فيه وقد أطار الخوف صوابها.

"أرجوك لا تجزعي يا آنسة. إنني حطاب أقطن قرية في هذه النواحي،" قالها باو بصوت هادئ وعيناه منكستان في الأرض.

"ولكن ما الذي جاء بك إلى هنا ...؟" سألته والروع لم يزايلها بعد.

"جئت ... جئت لأجمع الحطب، ولما وجدتك وحيدة في خلوات الجبل ..."

تعلل لها بعذر من السهل تصديقه. لكن وجهه احمر لما تبادر له أنها لربما كانت تدرك حقيقة أمره.

بيد أنه استجمع شجاعته ليدنو منها ويقول:

"سيحل الظلام بعد قليل يا آنسة، فهيا بنا إلى البيت. إن أمي العجوز معي في البيت."

وافقت بلا تردد، وما كانت إلا لتوافق. وإلا، كانت ستترك وحدها في ذلك المختلى النائي من الجبل. زد على ذلك إنها شعرت في الحال بجاذب يجذبها إلى باو، الذي أثرت فيها كلماته الرقيقة وسلوكه الودي تجاهها.

وزفرت أونبيول زفرة أسى وتبعته.

ومنذ ذلك اليوم عاشت أونبيول في بيت باو، يهتم هو وأمه بأمرها ويسهران على راحتها بكل جوارحهما.

ومع مرور الوقت، أضحت أونبيول تقدر حق التقدير لطف وكرم باو وأمه، اللذين كانا يفعلان كل ما في استطاعتهما من أجلها.

وكانت تعجب أشد العجب عندما تفكر بأن في الدنيا أناسا لطفاء طيبين مثلهما!

وبالرغم منها، وجدت أونبيول نفسها تميل شيئا فشيئا بعاطفتها ومشاعرها إلى باو، الشاب البسيط، لكن الصادق الشريف.

وذات يوم، فتح باو قلبه لأونبيول:

"أ تدرين يا أونبيول ... أنا من خبأ غلالتك المجنحة في ذلك اليوم. وإنني لعلى استعداد لأن أطال لك حتى نجمة من السماء فيما لو طلبت مني ذلك. أريدك أن تعيشي معي ومع أمي... هيه ماذا تقولين؟"

قال لها باو ذلك بانفعال وعاطفة مشبوبة، وهو يمسك بيديها ويفركهما بشدة.

وما كانت أونبيول لتستطيع أن ترفض عرضه الصادق هذا ؛ ما كانت لتستطيع أن ترفض الحب العميق الذي أظهره لها باو وأمه.

كانت أونبيول أسعد من أن تتفوه بأية كلمة؛ فطأطأت رأسها واكتفت بالكز على شريط سترتها. وإذا بدمعة فرح تطفر من عينها وتسقط على ظاهر يد باو.

ومنذ ذلك اليوم، بدأت أونبيول حياة جديدة ملؤها السعادة كزوجة لباو.

في النهار، كانت تستقي الماء من الجدول وتعد الطعام، معينة حماتها في أعمال البيت؛ وفي الأماسي؛ كانت تجلس على النول تحيك أثواب القنب بصبر وأناة.

فكنت ترى باو وأمه وقد تدفق السرور من وجهيهما والابتسامة، ابتسامة الهناء والسعادة، لا تفارق ثغريهما.

عشر سنوات مرت قبل أن تفطن أونبيول إلى ذلك، وها هي الآن قد صارت أما لثلاثة صبيان طبعهم الجمال بطابعه.

وكل يوم كان باو وأمه يحبانها أكثر من اليوم الذي سبقه، وتعلقهما بها يغدو أشد وثوقا وحميمية باطراد.

وكونها قد صارت أما لثلاثة أولاد، فقد اعتادت أونبيول الآن على

الحياة العائلية؛ وحياة التنبلة التي كانت تعيشها سابقا في السماء لم تعد تروق لها أبدا.

بيد أنها ظلت تتمنى في قرارة نفسها لو ترتدي مرة واحدة فقط الغلالة المجنحة التي كانت تلبسها عندما كانت صبية.

وعشية ليلة مقمرة، كانت أونبيول تتسامر وباو حول شؤون الزراعة، جالسين بجانب النار الداخنة لطرد البعوض التي أشعلتها وسط الفناء.

وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث، طلع البدر عليهما من وراء الرابية قبالة القرية.

"أنظر! البدر طالع."

وجعلت أونبيول تحدق عاليا في البدر المنير وهي تضغط بيديها على صدرها. فلقد أثارها على نحو غريب منظر البدر الطالع على مهل، مرنقا بأشعته الفضية أرجاء السماء الليلية. ومجرة درب اللبانة وهي تتلوى من خلال الأيكة الكثيفة لأشجار القرفة، بدت لها أشبه ما تكون بلفافة رسم معلقة على الجدار. كان بوسعها أن تتخيل بجلاء لحظتها وجوه الحوريات، شقيقاتها العزيزات على قلبها، اللواتي طالما كن عطوفات ولطيفات معها.

لقد افتقدت افتقادا موجعا هاتيك الأيام حين كانت تطير إلى جبل كومكانغ بغلالتها المجنحة برفقة أخواتها الحوريات.

"وأين خبأت غلالتي المجنحة يا عزيزي؟" سألت أونبيول زوجها بشيء من الحذر.

لكن وجهها ما كان ليخفي مدى توقها واشتياقها لغلالتها المجنحة.

وفهم باو ماذا يجول في رأسها.

"لقد نسيت تماما أمر غلالتك المجنحة. إن شئت أعطيك إياها."

والغريب في الأمر أن باو نفسه كان مبسوطا.

فمضى لتوه إلى الغرفة البرانية وأخرج الغلالة المجنحة من صندوق الملابس وعاد بها إلى الفناء.

"تفضلي غلالتك المجنحة يا أونبيول."

وناولها باو الغلالة المجنحة، وقد غاب عن باله كليا ما قاله الأيل ونبهه إليه.

"ياه ... غلالتي المجنحة!..."

كادت أونبيول أن تخرج عن طورها وهي تتناول منه الغلالة المجنحة، وبدت كالطفل الفرحان وهي تغمر وجهها في الغلالة وتدعكها بوجنتيها.

"جربي ارتديها يا أماه،" توسل إليها طفلها البكر وهو يمسك بتنورتها.

وعقب باو: "ستبدين أصغر بعشر سنوات إذا أنت لبستها يا أونبيول."

لم تستطع أونبيول أن تخفي ابتهاجها الشديد. وبشيء من التردد، شرعت بوضع الغلالة المجنحة عليها.

وما إن لبستها، حتى بدا جسمها يرتفع على حين غرة.

"ماما!"

"ماما!"

صبيانها الثلاثة يصيحون مرعوبين وهم يتشبثون بتنورة أمهم لا يريدون عنها فكاكا.

فما كان من أونبيول إلا أن رفعت أطفالها الثلاثة على عجل، وضعت اثنين منهم تحت إبطيها والأصغر على ظهرها ثم أقلعت محلقة نحو عنان السماء.

"إلى أين يا زوجتي الحبيبة؟!"

صرخة أطلقها باو مفعمة بالروع والذهول معا، وهو يدفع كلتا يديه عاليا إلى السماء. وهرعت أمه خارجة من المطبخ، لكنها لم تكن تعرف ماذا تفعل.

"يا عزيزي!"، "يا أمي الحبيبة!" نادت أونبيول عليهما بصوت مخنوق فيما هي تحلق وتحلق إلى العلاء.

"أونبيول! يا أونبيول!" باو يوالى مناداته دونما توقف حتى بح صوته، وظل كذلك إلى أن اختفت أونبيول عن الأنظار تماما.

"أواه! وما العمل الآن؟ لماذا لم أتذكر ما قاله لي الأيل؟"

وجعل يتلوى كربا والتياعا وهو يقرع صدره بقبضته. بيد أن التأسف أو التندم لم يعد يجدي نفعا الآن.

ومن الغد، عاش باو في حزن مقيم وحسرة دائمة. كان عندما يعود إلى بيته مساء بعد العمل سحابة النهار، يشعر بقلبه ينسحق ألما لما يتراءى له

خيال زوجته أونبيول الحبيبة وأولاده الثلاثة الأعزاء وهم يهرعون لملاقاته والترحيب به جريا على عادتهم.

وذات يوم، وفيما كان باو مستلقيا على العشب يستريح بعد جمعه حزمة حطب كبيرة من أطراف الجبل، وعيناه شاخصتان نحو السماء الزرقاء وقد اغرورقت فيهما الدموع شوقا إلى زوجته الحبيبة أونبيول وأولاده الأعزاء، إذا به يسمع فجأة ضوضاء آتية من الدغل وأيل يظهر أمامه على غير انتظار. كان هو نفسه الأيل الذي سبق وأنقذه من براثن الصيادين.

"عجبا، ما الذي تفعله عندك؟" بادره باو بالسؤال.

كان باو، بالطبع، مسرورا جدا لرؤية الأيل مجددا حتى إنه أقبل يعانقه عناقا حارا، والأيل من جانبه تهز رأسه طربا وانبساطا لرؤية باو.

لكن التقاءه بالأيل جعله يفتقد أونبيول ويستوحش لها أكثر وأكثر.

ولما لم يستطع تمالك نفسه بعد الآن، فقد أجهش بالبكاء، وأخبر الأيل بكل ما جرى له.

فدمعت عينا الأيل تأثرا فيما هو يستمع إلى حكاية باو المحزنة.

"لو كنت تذكرت كلامي، لما كانت وقعت مثل هذه المصيبة قط."

وأبدى الأيل كل تعاطف وجداني معه، ثم استغرق للحظات في تفكير عميق قبل أن يرفع رأسه ويقول: "لا تكن مهموما هكذا. فما زال هناك سبيل لأن يجتمع الشمل وتلتقي بالحورية أونبيول وأولادك الثلاثة."

وأخبره الأيل بأنه بعد أن فعل ما فعل بإخفائه الغلالة المجنحة للحورية قبل عشر سنوات، لم يعد يسمح لحوريات السماء بالهبوط إلى البرك الثماني، بل صار يتعين عليهن أن يرفعن المياه منها بواسطة دلو من الفضة كلما أردن الاستحمام. ولو تعلق باو بالدلو، لأمكنه بذلك أن يصعد إلى السماء.

"غدا سيكتمل القمر بدرا؛ وفي الغد تحديدا، ستدلي الحوريات بدلوهن الفضي ليستقين الماء. فافعل كما أخبرتك وكل شيء سيكون على ما يرام." قالها الأيل، واختفى بسرعة في جوف الغابة.

في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، بكر باو بالصعود إلى البرك الثماني.

وقبع هناك ينتظر الدلو بفارغ الصبر، وعيناه أبدا شاخصتان إلى السماء. وفجأة سمع صوت قعقعة سلاسل حديدية آتية من أعالي السماء، ثم شاهد دلوا فضيا كبيرا مربوطا بالسلاسل يتهادى نازلا إلى الأرض.

وغطس الدلو الفضي في البركة، مطرطشا المياه في كل اتجاه، وسرعان ما امتلأ بالماء.

أما باو، الذي كان ينتظر هذه اللحظة على أحر من الجمر، فقد اندفع كالسهم وأفرغ الدلو وقفز قاعدا فيه.

وبقرقعة عالية، راح الدلو الفضي يرتفع رويدا رويدا نحو السماء، مسحوبا بالسلاسل الحديدية.

"سأعود مهما جرى؛ سأعود ثانية ومعي أونبيول وأطفالي يا أماه!" تمتم باو وهو ينظر باتجاه قرية أوكريودونغ؛ فيما هو يعلو ويعلو في رحاب السماء اللامتناهية.

نعود إلى أونبيول. كانت أونبيول قد عادت قبل ذلك والتقت بشقيقاتها الحوريات الحبيبات في السماء بعد فراق دام عشر سنوات.

فأقبلت كل واحدة منهن تعانق أونبيول بحرارة، ودموع الفرحة تنثال مدرارا على خديها.

وكانت أونبيول، هي الأخرى، فرحانة جدا بلقاء شقيقاتها مجددا في السماء.

لكن الحقيقة هي أنها وضعت الغلالة المجنحة عليها بدافع الفضول ليس إلا.

وإذا بالأمور تنقلب إلى ما ليس في الحسبان. وهذا ما أورثها ندما لا ينتهي وألما لا يستكين.

التفكير في زوجها الحبيب وحماتها العزيزة تحت في جبل كومكانغ أوشك أن يسحق قلبها تقريبا.

ولشد ما تاقت بعد ذلك إلى العودة، العودة سريعا إلى جبل كومكانغ.

وهذا ما كان يحير شقيقاتها الحوريات فكن يتساءلن في عجب: "ماذا

تقولين يا أونبيول؟ ألا تعرفين كم افتقدناك واستوحشنا لك فيما أنت بعيدة عنا؟."

ما من واحدة من شقيقاتها كانت لتدعها تذهب، وكن يمسكن بثوبها ويتشبثن به حتى لا يدعنها تذهب.

فتارة كن يواسينها، وتارة أخرى يحاولن إقناعها بالبقاء.

بيد أن كل ذلك ما كان ليفرج عنها ويخفف من حزنها وكمدها.

كانت تشهق وتقول: "سامحني يا عزيزي باو! ماذا عساي أفعل يا أماه؟" وتقضي اليوم بعد اليوم باكية، وساكب الدمع من عينيها لا يريد أن ينضب بحال.

وذات ليلة مقمرة، وهي على هذه الحال، كانت أونبيول جالسة مع أولادها الثلاثة تحت ظل شجرة قرفة تذرف الدموع بغزارة والشوق الشديد يذهب بها إلى باو وحماتها.

بغتة، أتاها صوت أختها الكبرى من خلفها تقول لها محبوسة الأنفاس:

"أونبيول! أنظري من جاء!"

وفي اللحظة التي استدارت فيها، أطلقت صيحة دهش وذهول، وتيبست كلها كما لو كانت حجرا أصم.

فقد رأت باو، زوجها، يتجه صوبها.

"بابا!"

"بابا!"

وهرع الأولاد نحوه وتعلقوا بأكمامه فرحين مهللين.

"لقد جئت يا أونبيول ... أنا باو!"

ربت باو على رؤوس أطفاله بحنو ثم ساروا معا إليها.

هنا تمتمت أونبيول: "أ تراني أحلم يا حبيبي؟" فلا شك في أنها كانت تحلم.

فأجابها باو ضاحكا:

"أبدا ... هذا ليس حلما يا أونبيول."

وما كان بمقدور أونبيول أن تستوعب ما يجري حولها. فأخبرها باو كيف ارتقى إلى السماء سعيا وراءها.

"يا حبيبي!"

"أونبيول!"

وبكى الاثنان من شدة الفرحة، ممسكين بيدي بعضهما بعضا، والحوريات كل الحوريات من حولهما يتابعن هذا المشهد بأعين دامعة.

"هيا بنا ننزل إلى قرية أوكريودونغ يا عزيزتي أونبيول،" استحثها باو وهو يشد على يديها. فما كان منها إلا أن ردت:

"كما تريد يا عزيزي."

ثم التفتت إلى شقيقاتها الحوريات المتحلقات حولها وأخبرتهن بما تعتزم فعله. ولما لم يعد بإمكانهن ثنيها عن الرحيل بعد الآن، فقد هززن رؤوسهن علامة الموافقة.

واعتلت أونبيول وباو وأطفالهما الثلاثة صهوة جواد مطهم أحضرته لهم الحوريات الأخريات وطاروا به نازلين إلى جبل كومكانغ وسط توديع حار ومؤثر من حوريات السماء جميعا.

وعندما حطوا على جبل كومكانغ، ألقت أونبيول بغلالتها المجنحة في إحدى البرك الثماني غير آسفة. وأضحت منذ تلك اللحظة امرأة أريبة على هذه الأرض وزوجة مجتهدة ومطيعة. وقد عاشت ناعمة بالهناء والسعادة سنوات مديدة تساعد زوجها وحماتها بلا وناء وتبني قريتها أوكريودونغ أحسن بناء.

الصخرة المرآة

إذا ولجت وادي بايكتشوندونغ في كومكانغ الداخلي، ستطالعك هناك صخرة عملاقة وجهها أشبه ما يكون بالمرآة المصقولة، علوها تسعون مترا وعرضها ثلاثون.

إنها الصخرة المرآة الشهيرة، أحد معالم جبل كومكانغ البارزة.

ومنذ غابر الأزمنة، والعديد من الحكايا المشوقة قد نسجت وظلت تنسج حول الصخرة المرآة هذه.

وإليكم إحداها:

في يوم من الأيام، كان رجل يدعى بونغ دوك في طريقه للتفرج على جبل كومكانغ ومعه مبلغ من المال يكفيه مؤونة الرحلة.

وبعد مسير عدة أيام، وصل إلى خان بجانب الطريق، من حيث يمكن للمرء أن يرى جبل كومكانغ من بعيد.

ما إن تناول طعام العشاء حتى دخل غرفته لينام. كان صاحب النزل قد أخبره بأن مسافرا سبقه ونزل في الغرفة الجوانية. وفي وقت لاحق، دخل عليه راهب في الغرفة البرانية حيث يبيت ليشاركه إياها.

وفي ساعات الصباح الأولى، سمعت جلبة آتية من الغرفة الجوانية،

وما عتم أن اقتحم رجل يعتمر قبعة جندي الغرفة حيث كان بونغ دوك يغط في نوم عميق، وهو يصيح:

"أنت سرقت مال سيدي! اطلع به في الحال يا لص!" وحاول أن ينتزع صرة بونغ دوك منه بالقوة.

متشبثا بصرته، احتج بونغ دوك بشدة: "لم يحصل في حياتي أن مددت يدي إلى ممتلكات الآخرين."

لكن الرجل اللابس القبعة أصر على اتهامه؛ "أيها المحتال! ليس أحد غيرك وذاك الراهب من كان نائما هنا. فهل أشك في الراهب؟ ألزم الهدوء ودعني أفتش صرتك."

رأى بونغ دوك أن لا فائدة من الاحتجاج، فحل صرته كي يرى الرجل ما فيها.

والغريب أن لفيفة الأوراق المالية التي فقدها النبيل وجدت في صرة بونغ دوك بالذات.

وهذا ما حدا بالرجل صاحب القبعة إلى ضرب بونغ دوك وتكتيفه، متهما إياه بالسرقة.

هذه المشكلة غير المتوقعة بالمرة أربكت بونغ دوك أيما إرباك. فاستدار باحثا عن الراهب الذي كان نائما معه في الغرفة ليشهد ببراءته، لكن الراهب كان فص ملح وذاب.

فساق الرجل المقبع بونغ دوك مخفورا إلى سراي المحلة.

وفي الطريق، أحس بونغ دوك، الذي ألبس تهمة باطلة، أحس بقلبه يكاد ينهصر كمدا.

(إني لأتساءل، من دبر لي هذه المكيدة يا ترى؟ لو أني أعرف من هو، لكنت...) ولهذه الخاطرة التي عنت له غلت الدماء في عروقه وأصر بأسنانه اغتياظا.

والذي أقلق باله أيضا وأيضا هو أنه قد لا يرى مناظر جبل كومكانغ، رغم أنه على هذه المقربة الدانية منه.

وفي الطريق مخفورا إلى سراي المحلة، تضرع بونغ دوك إلى

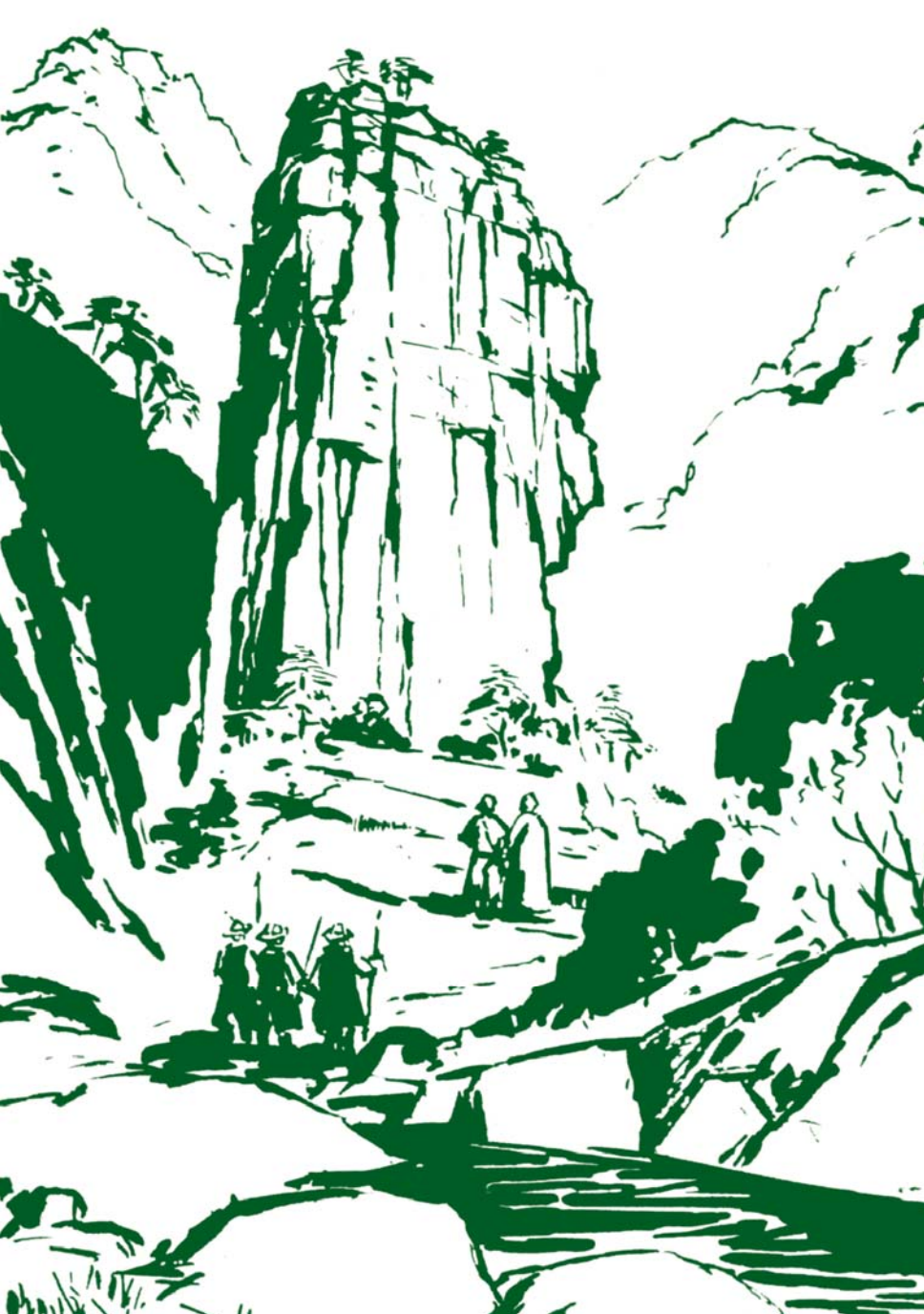

النبيل أن يدعه يتفرج على جبل كومكانغ ولو ليوم واحد فقط ثم ليفعل به ما يشاء بعد ذلك.

وبعد شيء من التفكير، وافق النبيل القادم من سيئول على التماسه هذا. إنما لم يفعل ذلك بدافع من نخوته، وشهامته، وإنما لعلمه بأنه لو ترك بونغ دوك ينظر في الصخرة المرآة، لسوف تكشف الصخرة إن كان مذنبا أم لا.

وهكذا، سمح النبيل لبونغ دوك بالتوجه إلى جبل كومكانغ، إنما بشرط أن يصحبه الرجل المقبع أينما ذهب.

جائلا بأبصاره بين مناظر جبل كومكانغ الفاتنة، وقف بونغ دوك مأخوذا مسحورا بتلك المشاهد التي تخلب الألباب حقا، حتى إنه نسي تماما العقوبة التي تنتظره في سراي المحلة.

صيحات الدهش والإعجاب تخرج متلاحقة من بين شفتي بونغ دوك. كان بونغ دوك فرحا كطفل لمرأى الصخور ذات الأشكال والهيئات العجيبة، ولمنظر الجداول البلورية المياه، ولمشهد الزهور المتفتحة منتثرة عبر الوديان... وهو في كل هذا سابح في أجواء من النشوة لا توصف.

لكن الذين كانوا يصطحبونه حرصوا أول ما حرصوا على اقتياده إلى وادي بايكتشوندونغ حيث تنتصب الصخرة المرآة.

فإذا به إزاء صخرة متسامقة إلى العلاء ولها صفحة مصقولة أشبه بالمرآة تماما.

فلم يقو على منع نفسه من الاقتراب منها.

انبهت بونغ دوك حين رأى شخصا يتفرس فيه من قلب الصخرة.

(عجبا! كيف لرجل أن يقف داخل الصخرة؟!) تساءل في ذهول.

رؤى عجيبة حقا جعلت عينيه تطرفان بشدة.

وإذا بالرجل داخل الصخرة يفعل الشيء ذاته.

وهذا ما جرح شعور بونغ دوك فقطب حاجبيه.

الرجل بدوره قطب حاجبيه.

هنا استطار ببونغ دوك الفضول، فاقترب من الصخرة، عرك عينيه وحملق في الرجل ولسان حاله يقول: (من عساه يكون هذا الرجل؟)

فإذا به يجفل ويرتد إلى الوراء. فالرجل القابع داخل الصخرة الجلمود كان يشبهه تماما... بل كان انعكاس صورته هو على الصخرة.

فتساءل في تعجب إن كان ثمة صخرة أخرى مثلها في الدنيا، وراح ينظر بانشداه إلى صفحة الصخرة الشبيهة لشدة انصقالها بالمرآة.

لما رأى القوم الذين يصطحبونه تصرفه هذا، أدركوا من غير ما ذرة شك أنه بريء. وخطرت على ذهن كل منهم نفس الخاطرة (علي أن أعود وأخبر سيدي بذلك). في تلك اللحظة، شوهد راهب يدنو من بونغ دوك الذي كان لا يزال واقفا بإزاء الصخرة المرآة. كان هو نفسه الراهب الذي نزل معه في الخان الليلة الماضية.

"سيدي!" نادى عليه بونغ دوك فرحا. فقد خيل له أن الراهب سيساعده دون ريب في الخروج من تلك الورطة. "سي... سيدي!" واتجه بونغ دوك صوب الراهب يريد مكالمته. لكن الراهب تجاهله تماما وصاح متعجبا وهو يشير بسبابته إلى الصخرة المرآة: "يا لغرابة شكل هذه الصخرة!"

"بالتأكيد، إنها تعكس جسمي كله كالمرآة. شيء لا يصدق!" رد بونغ دوك معقبا وهو يلتفت برأسه ناحية الصخرة.

"أو تقول إنها تعكس جسمك كله؟"

وبرأس مائل إلى جنب وبسيماء تنم عن الشك فيما سمع، اتجه الراهب بخطى جسورة إلى الصخرة.

وقف قبالتها تماما وحدق فيها وهو يعرك كلتا عينيه.

لكن الغريب في الأمر أن جسمه لم ينعكس على صفحة الصخرة.

وهذا ما جعل الراهب يستشيط غضبا وينخر في وجه بونغ دوك "كفى تهريجا. أين صورتي المنعكسة عليها... هيه؟ يا لك من رجل مخبول!"

عندما سمعوا كلامه هذا وشاهدوا هذا المشهد، اقترب كل من كان في صحبة بونغ دوك من الصخرة المرآة للتأكد.

فوجدوا فعلا أن صورة الراهب لا تنعكس البتة على الصخرة.

الرجل اللابس القبعة طفق برهة يحدج بونغ دوك والراهب مداورة، ثم مد يده وأخرج من وسطه حبلا.

ولما رأى الحبل، استغم بونغ دوك حين دار بخلده أنه بعدما تمتع برؤية جبل كومكانغ حسبما تمنى، ها هم يعودون إلى تكبيله من جديد.

لكنه فوجئ بهم يكبلون الراهب، وليس هو، بالحبل.

والراهب يزعق بهم "كفوا عن هذه الرذالة أيها الأوغاد!" ويفحص الأرض برجليه كالثور الهائج.

حيال زعيقه هذا، رفع أحدهم كفه ولطم به الراهب على أذنه، قائلا: "أو تظنها صخرة عادية أيها الشرير؟ هذه هي الصخرة المرآة التي تستطيع تمييز الخير من الشر. إنها تعكس صورة الناس الشرفاء أمثال بونغ دوك، لا الأشرار أمثالك."

وصفع الرجل المقبع الراهب على وجهه بكل ما أوتي من عزم الساعد واتهمه بسرقة المال.

فتلعثم الراهب لا يدري ماذا يقول ثم طأطأ رأسه أرضا.

وقد تبين أنه لص مشهور، جاء متنكرا هذه المرة بزي راهب.

لقد تبع النبيل وصحبه من سيؤول، وأقدم الليلة الماضية على اختلاس المال من جراب النبيل ودسه في صرة بونغ دوك. وحين كان على وشك مغادرة الخان على عجل ومعه الصرة، إذا بالأمور تجري فجأة بما لا يشتهي. فما كان منه إلا أن اختفى عن الأنظار، متظاهرا بأنه لا يعرف شيئا عن الموضوع.

وأعيد مال بونغ دوك ثانية إليه بعدما شهدت الصخرة المرآة على براءته، واستمتع ما طاب له الاستمتاع بالتفرج على مناظر جبل كومكانغ الخلابة قبل أن يقفل عائدا إلى ديرته.

ومنذ ذلك الحين، دأب الناس الشرفاء يأتون إلى الصخرة المرآة

ليمتعوا ناظريهم برؤية صورتهم منعكسة على صفحة الصخرة العجيبة تلك.

لكن الأغنياء والنبلاء وموظفي الحكومة الإقطاعية، كانوا عندما يزورون جبل كومكانغ، يحرصون كما قيل على الابتعاد قدر الإمكان عن الصخرة المرآة، خشية من أن تنكشف أعمالهم الإجرامية وممارساتهم اللامشروعة للعيان.

زهرة دال القمرية

في سالف العصور، كان أسلافنا يعزون الجيرة وصداقة الجار معزة كبرى، ويهرعون بشهامة إلى انتشال جيرانهم من محنتهم حتى ولو كان في ذلك مجازفة بأرواحهم.

إن صخرة تشونسون على قمة مانمولسانغ قمة العشرة آلاف هيئة الشهيرة في جبل كومكانغ، تقترن بقصة صبية تستحق الثناء والإكبار تدعى تشاكسيل، بذلت كل جهد صادق في سبيل إنقاذ أهالي قريتها من داء ألم بهم.

قديما، وقديما جدا، كان نفر من الفلاحين ممن يعملون بالمحاصصة يعيشون في دسكرة صغيرة بعيدا من جبل كومكانغ.

وذات ربيع، أخذ القرويون الذين كانوا يقتاتون العشب ولحاء الأشجار قبل أوان حصاد الشعير يسقطون مرضى الواحد تلو الآخر وقد تورمت أجسادهم إلى درجة الانتفاخ.

فقصدوا مالك الأراضي وتوسلوا إليه أن يسلفهم شيئا من الأرز يرد عنهم غائلة الجوع. لكن مالك الأراضي المتحجر القلب أبى أن يعطيهم حبة أرز واحدة، رغم أنه يملك قناطير لا تحصى من الأرز

في شونته، مما أثار سخط ونقمة القرويين عليه.

بيد أنهم سمعوا أقاويل مفادها أن حوريات السماء يهبطن في بعض الأحايين على قمة مانمولسانغ في جبل كومكانغ، وأن أي مريض إذا ما تنشق عبير زهرة دال (القمر) العجائبية التي تزهر على سطح القمر، والتي تقطفها الحوريات في حال طلب منهن ذلك، فإنه يبرأ من مرضه ويتعافى في الحال.

اجتمع القرويون وتباحثوا فيمن يجب إرساله إلى الجبل للإتيان بأزهار دال القمرية هذه.

لا شك في أن قطع رحلة طويلة وتسلق جبل كومكانغ الكثير الصخور والجروف الشاهقة كانت مهمة رجل قوي البنية، رجل شديد البأس. لكن الرجال الأقوياء الأشداء كانوا قد سقطوا جميعا فريسة المرض، مما جعلهم يقرون في استسلام: "ليس باليد حيلة؛ سوف نقضي جميعا نحبنا والسلام!"

شعر القرويون ببصيص الأمل هذا يخبو ويندثر، وقضوا أيامهم ينوحون ويندبون حظهم العاثر.

وفي أحد الأيام، مثلت صبية أمام شيخ القرية وقالت له:

"أنا من سيذهب إلى جبل كومكانغ يا سيدي."

كانت المتكلمة تشاكسيل من أسرة دولماك. وكانت معروفة جيدا باجتهادها وطيبة قلبها.

"أنت؟!"

حدق فيها العجوز مدهوشا، ثم هز برأسه غير موافق.

"لعلني أفهم يا ابنتي دافعك إلى الذهاب، ولكن كيف عساها صبية ضعيفة مثلك أن تقوم بتلك الرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر؟"

فجثت تشاكسيل على ركبتيها أمام العجوز وقالت في تضرع:

"لئن كنت فتاة ضعيفة، إلا أنني قد حزمت أمري على الذهاب. فدعني أذهب أرجوك!"

فرد العجوز هازا برأسه:

"أفهمك يا بنيتي، ولكنني أتساءل إن كنت وأنت الصبية الصغيرة ندا لهذه المهمة الخطيرة، أعني إنقاذ حياة جميع من في القرية؟"

"مهما تكن الرحلة طويلة وشاقة، سأذهب حتى وإن اضطررت إلى الزحف شبرا شبرا. يجب أن أذهب."

كانت تشاكسيل قد حزمت أمرها نهائيا، وما كان باستطاعة أحد أن يثنيها عن ذلك.

"أصبت يا بنيتي! فمهما كان جبل كومكانغ بعيدا ووعرا، فهو بعد على الثرى دون الثريا. وأنت بعزيمتك الصلبة هذه قادرة، فيما أعتقد، على بلوغ حتى الثريا في السماء."

وضرب العجوز بيده على لحيته في رضا وارتياح. وشعر، وهو يرنو إلى الصبية بعاطفة ومودة، بانفعال طاغ غص له حلقه.

وفي باكورة اليوم التالي، غادرت تشاكسيل القرية، حاملة معها بضع كعكات من الأرز المخلوط بعشبة لسان الحمل أعطاها إياها جيرانها.

وفي صبيحة اليوم الثالث لانطلاقها، وصلت تشاكسيل إلى قرية أونزونغ عند سفح الجبل.

كانت منهوكة القوى إلى أبعد حد، بيد أنها لم تسترح حتى برهة قصيرة، بل مضت صاعدة في جهد جهيد نحو صخرة تشونسون، شاقة طريقها غير المطروق شبرا شبرا على سند الجبل الشديد الانحدار مرورا بصخرة ريوكهوا.

وفي طريقها الصاعد إلى قمة مانمولسانغ، ارتسمت أمام ناظريها على التوالي مشاهد ساحرة لصخرة مانسانغزونغ فصخرة سامسون فصخرة كويميون فصخرة تشيلتشونغ... وغيرها وغيرها من الصخور الغرائبية. لكنها مضت في طريقها لا تلوي على شيء.

وأخيرا، بلغت تشاكسيل صخرة تشونسون، مقصدها. ومن فرط ما أصابها من إجهاد، تهاوت على الأرض بجانب الصخرة، وما لبثت أن غطت بالرغم منها في نوم عميق.

واستغرقت في غفوتها تلك وقتا طويلا.

هنا، تناهى إلى سمعها صوت خافت لأنغام مزمار عذبة كما لو تسمعها في المنام. فاستيقظت من سباتها وهي تعرك عينيها. وهبت واقفة على قدميها وراحت تنظر عاليا إلى السماء، والدنيا لا تسعها من شدة الفرحة.

رأت لساعتها حوريات السماء يهبطن إلى الوادي حيث تقف على منزلق قوس قزح بديع.

"أوه! إني واثقة من أنهن سيعطينني بعض أزهار دال إذا أنا طلبتها منهن!" وراح قلبها يخفق خفقانا شديدا لمنظر الحوريات النازلات على قوس القزح.

وفوجئت الحوريات من جانبهن برؤية تشاكسيل عندما حططن على شعفة الجبل. فقد دأبن على النزول إلى صخرة تشونسون لعقود وعقود، إنما لم يحدث قط أن التقين بغريب من قبل. وبعد تردد قصير، اقتربت إحدى الحوريات بحذر من تشاكسيل وسألتها:

"أين تعيشين ولماذا قطعت كل هذه المسافة إلى هنا؟"

لكلمات الحورية الرقيقة هذه، غص حلق تشاكسيل ودمعت عينها.

ثم أخبرتها، وهي تداري دموعها، بأنها إنما قدمت إلى هنا طلبا لزهرة دال القمرية.

حين سمعت الحوريات منها بالمصيبة الأليمة التي حلت بأهالي قريتها، هتفن وعبرات التأثر تترقرق في عيونهن: "إن تفانيك هذا كفيل باستثارة عاطفة السماء."

"سوف نعينك على بلوغ مأربك، فلا تعتلي هما." أكدت لها الحوريات ذلك، وأخذن بيدها إلى بحيرة هوازانغ ذات المياه الزرقاء الصافية كالمرآة، حيث غرفن من تلك المياه وغسلن بها وجهها.

فإذا بوجه تشاكسيل يغدو جميلا كوجه حورية وسرعان ما استحالت هي نفسها حورية حسناء.

بيد أن تشاكسيل نفسها لم تفطن إلى أنها أصبحت تشبه الحوريات.

صعدت إحدى الحوريات إلى السماء على متن قوس القزح وعادت بعد برهة ومعها ثوب رائع لتشاكسيل، ألبستها إياه. ثم تناولت من عبها زهرة ناصعة البياض كالثلج وقالت لها:

"هذه هي زهرة دال، خذيها رجاء!"

ووضعت الزهرة في يد تشاكسيل.

"وافرحتاه! زهرة دال في حوزتي!!" هتفت تشاكسيل غير مصدقة، وأمسكت بالزهرة وراحت تمررها على وجنتيها.

فقالت الحورية: "هذه الزهرة لا تزهر إلا مرة واحدة كل مائة عام يا تشاكسيل، لذا، فهي شيء عزيز حتى على القمر. إنني أعطيك هذه الزهرة نظرا لما رأيته فيك من إخلاص وتفان. فانطلقي في الحال وانقذي بها أهالي قريتك. وعندما يتماثل الجميع إلى الشفاء، سأنزل قوس قزح على الينبوع الصغير في القرية، وعندها عليك أن تقذفي الزهرة إلى قوس القزح، مفهوم؟"

"مفهوم. شكرا ألف شكر لكن أيتها الحوريات الطيبات."

وانحنت تشاكسيل مرارا للحوريات ثم انطلقت بأقصى سرعة إلى قريتها.

لما وصلت إلى القرية، وجدت جميع الأهالي دون استثناء طريحي الفراش، وقد ساءت حالتهم الصحية كثيرا عنها عندما تركتهم.

حملت الزهرة وتوجهت أول ما توجهت إلى منزل شيخ القرية لكي يشمها، ثم راحت تنتقل بها من بيت إلى بيت لتشفي سائر أهالي القرية.

وفي الآخر فقط جاءت إلى بيتها وجعلت والدتها تشم زهرة دال، فيما القرويون تجمهرون في فناء البيت.

"أنظروا إليها، حورية! حورية جاءت من السماء لتنقذنا!" هكذا راحوا يلهجون ويرمقونها بأعينهم محبوسي الأنفاس.

تنشقت أم تشاكسيل عبير زهرة دال وعاد إليها رشدها. لكنها لم تتعرف ابنتها التي عادت إليها في إهاب حورية حسناء.

"أنت تشفقين على المساكين أمثالنا وتشملينا بعطفك ورعايتك. لكم

أنا ممتنة لك!" وجهت إليها أمها هذا الكلام بصوت باك وانحنت لها انحناءة شديدة. وجميع من في القرية ممن شموا زهرة دال ركعوا على الركب في الفناء وانحنوا لها.

انتاب تشاكسيل الارتباك للحظة، لا تفهم سببا لتصرفهم هذا. إلى أن تذكرت أن الحوريات قد غسلن لها وجهها بمياه صافية بالقرب من صخرة تشونسون.

وجدت قطعة من مرآة محطمة في ركن الغرفة، فتناولتها ونظرت فيها.

"ويحي!"

صعقت حين رأت نفسها على صورة حورية حسناء.

فأسرعت تساعد أمها وأهالي قريتها المنحنين لها ركوعا، تساعدهم على الوقوف وهي تطبطب على أكتافهم، قائلة "دعكم من هذا! أنا تشاكسيل يا ناس!"

"ماذا؟ أنت تشاكسيل؟!"

فوجئت أمها وأهالي قريتها بذلك، وما كانوا ليصدقون آذانهم بحال.

فأخبرتهم تشاكسيل بالقصة كاملة وكيف أنها التقت بحوريات السماء بجانب صخرة تشونسون. وعندها فقط فهموا ماذا حصل. فبكى الجميع فرحا وأقبلوا يعانقونها عناقا حارا.

قال لها شيخ القرية بصوت تخنقه العبرات وهو يربت برفق على كتفها:

"أنت بنت طيبة. إن تفانيك حرك عاطفة السماء فهنيئا لك يا ابنتي!" وفي مساء ذلك اليوم، اجتمع أهالي القرية في بيتها واحتفلوا حتى ساعة متأخرة من الليل.

وفي ضحى اليوم التالي، جاء مالك الأراضي يركض إلى بيت تشاكسيل فاغر العينين وصاح بها:

"أيتها البنت الشريرة، هات ما يسمونها زهرة دال في الحال!"

لقد أصر منذ لحظة دخوله البيت على أن تعطيه زهرة دال دون مناقشة.

ذعرت تشاكسيل وتملكها الروع. لكنها حزمت أمرها على ألا تسلم أبدا "الكنز" لمالك الأراضي. وفي أسرع من لمح البصر، تناولت الزهرة من أحد الأدراج وانسلت خارجة من الباب الخلفي.

فلحق بها مالك الأراضي، ملوحا بعصاه.

ومضت تعدو بكل قوتها وهي تعض على النواجذ.

وفيما هما يقتربان من ينبوع الماء، وقد أوشك مالك الأراضي على الإمساك بها، إذا بقوس قزح بديع ينزل من السماء.

وللحال، رمت تشاكسيل بالزهرة بكل عزمها إلى قوس القزح، تماما مثلما أخبرتها الحورية أن تفعل، فعامت زهرة دال على قوس القزح وراحت تعلو وتعلو نحو السماء.

هنا أصيب مالك الأراضي بتشنج عضلي في ساقيه، فتداعى وسقط عند الينبوع كجذع شجرة منخورة. وانتابه، فوق ذلك، ضرب من الهلوسة العصبية، راحت تزداد سوءا مع مرور الأيام.

"لو وقعت زهرة دال في يدي، لكنت أصبحت ثريا في الحال،" هكذا راح يتكلم مع نفسه كالممسوس.

لقد استحوذت زهرة دال على عقله تماما، فراح يهجس بها دون سواها، وهو يطلق أنينا مكبوتا في فراش المرض وقد عصب رأسه بمنديل للتخفيف من آلام الصداع.

وذات يوم، لم يجد مالك الأراضي بدا من إرسال ابنته الوحيدة غوكنيو للإتيان بزهرة دال القمرية. فغادرتهم قاصدة جبل كومكانغ وعلى فمها ابتسامة ناصلة.

وبعد رحلة دامت عدة أيام، بلغت غوكنيو صخرة تشونسون وسرت إذ وجدت بحيرة هوازانغ هناك. فغرفت من مياه البحيرة وغسلت وجهها كي تصبح بارعة الجمال مثل تشاكسيل.

ثم نظرت في الماء لترى صورتها المنعكسة على صفحته.

فزعقت مذعورة "يا ويلاه!" وغطت وجهها بكلتا يديها. فقد رأت هزمات الجدري تكسو وجهها كله.

تهاوت غوكنيو على الأرض تبكي وتنتحب، والدموع تسيل مدرارا على خديها. ثم بدأ وابل من الرمل الساخن يتساقط عليها من السماء.

فهبت مضطربة وأركنت للفرار تريد الاحتماء منه.

ولما رأى مالك الأراضي ابنته قد عادت من دون زهرة دال القمرية، والأنكى من ذلك أنها عادت مجدورة الوجه، فجع أيما فجيعة واحتضره الهم فمات.

ومنذ ذلك الحين، والقرويون يصعدون كل خريف إلى جبل كومكانغ، آخذين معهم أشهى المأكولات والأطايب التي أعدوها من الحصيد الجديد، حيث يلهون ويمرحون بجانب صخرة تشونسون التي التقت تشاكسيل عندها بالحوريات وأعطينها زهرة دال القمرية.

ممر هيويانغ

يحكى أنه كان في قديم الزمان فتى يدعى دوري، وكان يعيش في فقر مدقع مع أمه المريضة في قرية لا تبعد كثيرا عن جبل كومكانغ.

ومن أجل أمه، كان يطوف مستعطيا من قرية إلى قرية، لكن التسول ما كان ليرد عنهما غائلة الجوع والفاقة.

وذات يوم، قال دوري لأمه:

"سأعمل أجيرا زراعيا عند النبيل الساكن ما وراء الممر وأحضر لك الطعام يا أماه."

فوجئت أمه بإعلانه هذا وبادرته على الفور:

"أفضل أن أموت جوعا من أن أدعك تعمل أجيرا عنده."

رفضت أمه الفكرة رفضا قاطعا، ومنعته من مواصلة الحديث في الموضوع.

غير أن دوري شرح لها بأن أحدا لن يوفر لهما طعاما يأكلانه أو يقدم إليهما أرضا يزرعانها. وإنه حتى لو قيض لهما أن يزرعا بالمحاصصة، فبالكاد سيتمكنان من القيام بأودهما وتناول حتى ثريد سائط. ولهذا، من الأفضل له، كما قال، أن يعمل ولو أجيرا زراعيا. وظل يلح عليها بمقولته هذه المرة تلو المرة، حتى لانت أمه في النهاية ووافقت على مضض وعيناها تذرفان دموع الحزن.

وفي الغداة، صار دوري أجيرا زرعيا عند النبيل بموجب عقد مدته ثلاث سنوات.

مساء ذلك اليوم، جلس دوري على المائدة وتظاهر بتناول الوجبة التي قدمت له كعشاء، فيما هو يقص قصة حياته كاملة للرجل العجوز الذي يعمل معه. ثم قام وانطلق راكضا إلى بيته ليقدم الطعام إلى أمه قبل أن يبرد.

مضى دوري يعدو، شاقا طريقه وسط الدغل الشائك، يريد أن يأخذها قادومية إلى بيته.

وعندما دلف إلى حجرة أمه، حاملا قصعة الطعام داخل سترته، كان الطعام ما زال بعد دافئا.

أمه التي لم تذق طعم الأكل لعدة أيام، أكلت ما حمله إليها ابنها بشهية فائقة وأكدت بأنها تشعر فعلا بالارتياح والسرور.

فرح دوري فرحا شديدا حين رأى أمه مبتهجة هكذا، ودخل المطبخ فأوقد نارا في الموقد قبل أن يودعها ويعود عبر الممر الجبلي على ساقين مرتجفتين.

لدى اقترابه من بوابة دارة النبيل، وجد البيت في صخب واضطراب، وسيد بيت يزمجر غاضبا في وجه العجوز: "لقد انسل حال تناوله الطعام. فما بالك لا تفعل شيئا.

هيا اذهب وعد به في الحال!"

استولى الذعر على دوري عندما سمع هذا الوعيد، وبدا له أنه قد وقع في ورطة حقيقية. وفكر فعلا في أن يعود أدراجه إلى البيت. لكن وجه أمه الناحل، أمه التي هدها الجوع وذهب بعافيتها، تراءى له. كما أنه تأثر كثيرا لانهيال التقريع على رأس العجوز بدلا منه. فقرر ألا ينكص على أعقابه.

وهكذا استجمع دوري شجاعته ودلف إلى الفناء.

بعينين تقدحان شررا، قبض النبيل على قذاله وأرغمه على الركوع على المصطبة الحجرية. وبعد أن ألهب ظهره بعدة سياط، أمره بأن يبقى راكعا حيث هو إلى ساعة بزوغ الفجر.

ولم تمض برهة إلا وشعر دوري بركبتيه ترتجفان ثم تصطكان تحته، وبدوار شديد في رأسه من جراء الجوع مما لم يعد قادرا على تحمله أكثر من ذلك.

لكنه عض على شفتيه وقرر أن يتحمل أي ألم، أو أية إهانة، كي يتسنى له أن يحمل إلى أمه المريضة ولو وجبة طعام واحدة في اليوم.

وطوال ثلاث سنوات منذ ذلك اليوم، وبصرف النظر أ كان الجو ممطرا أم مثلجا، دأب دوري يحمل الطعام إلى أمه كل ليلة من دون علم سيده.

وكما يقول المثل "الإخلاص يزهر حتى الحجر،" استعادت أمه عافيتها وبرأت من مرضها تماما.

وذات يوم، قادتها قدماها بحذر إلى الممر، مدفوعة برغبة شديدة في رؤية الممر الجبلي الذي دأب وحيدها يقطعه ذهابا وإيابا كل يوم ولمدة ثلاث سنوات طوال لكي يعتني بأمرها ويعيد إليها صحتها، رغم ما يكابده من إرهاق وجوع فيما هو يكد ويكدح في خدمة لسيده النبيل.

فوجدت دربا جبليا مطروقا يمر عبر الأشجار الكثيفة الشائكة، وآثار أقدام ابنها الذي ينتعل صندلا من القش مطبوعة بوضوح عليه، فتساءلت:

(أ كان على ولدي دوري أن يشق طريقه كل يوم عبر هذا الدرب الوعر في دجنة الليل البهيم ليحمل إلي الطعام؟)

وأخذها حزن تنقصف منه الضلوع.

عندما بلغت أم دوري أخيرا أعلى الممر، رأت فتى مجزوز الشعر يصعد الدرب من الجهة المقابلة. كان هو ولدها دوري في طريقه إلى البيت بعد إتمام واجباته اليومية كأجير زراعي في بيت سيده.

"أيا ولدي الحبيب!" هتفت بصوت تخنقه العبرات وهرعت إليه لتعانقه عناقا حارا. لكن الشجن الذي اعتراها والانفعال الشديد الذي هزها حالا دونها والتلفظ بأية كلمة، فأشهقت بالبكاء.

وأشهق دوري هو الآخر. بكى لأنه رأى أمه تصعد بمفردها ومن دون أن يساعدها أحد إلى أعلى الممر الشديد الانحدار، وهو ما بدا له أشبه بالحلم.

وعلى غير عادته، شهد الممر الجبلي في ذلك اليوم حركة تنقل كثيفة للمسافرين وعابري السبيل. وقد انفعلوا أشد الانفعال لمشهد الأم وابنها هذا، فأطروا إخلاص دوري وبره بوالدته إطراء رفيعا، وأخذوا منذ ذلك الحين يطلقون على الممر وقادوميته الجديدة اسم "هيويانغ"، أي ممر البر بالوالدين.

وحتى يومنا هذا، تجد الذين يجتازون ممر هيويانغ في جبل كومكانغ يتحدثون بغبطة ومسرة عن إخلاص دوري وبره المحمود بوالدته.

رسم على تنورة حريرية

قديما جدا، وفي دسكرة بجبل كومكانغ، كان يعيش فتى يدعى هوادونغ، وكان مغرما جدا برسم الصور.

فعندما كان يصعد إلى الجبل لجمع الحطب، عادة ما كان يقف ويرسم جرفا صخريا، شجرة، أو أشياء أخرى على الأرض قبل أن يباشر عمله.

وفي طريق العودة إلى البيت وعلى ظهره الحمالة ذات الذراعين موسوقة بالحطب، كان في أغلب الأحيان يقعد يستريح عند حافة جدول، فيغمس أصبعه في الماء ويرسم أسماكا أو أزهارا على الصخر.

حدث ذات يوم أن جاءت إحدى الجارات إلى بيت هوادونغ ومعها تنورة من الحرير الأبيض.

"انظري إلى هذه يا أم هوادونغ. إنها تنورة الحرير التي أرسلتها أسرة خطيب ابنتي الكبرى كثوب زفاف لها."

وفردت المرأة التنورة على الأرضية، متباهية بها.

فقالت أم هوادونغ: "دعيني أرى كيف نسجت يا جارة." وكانت حسيرة لا تبصر جيدا.

وأخذت التنورة إلى النافذة الصغيرة لتتفحصها، لكنها قلبت قنديل الزيت المركون على عتبة النافذة من دون قصد، فاندلق الزيت بكثرة على التنورة.

"ويحي ماذا فعلت؟!"

هلعت أم هوادونغ وهي تنظر إلى التنورة الحريرية بين يديها وقد تلطخت كلها بالزيت. أما جارتها، فقد امتقع وجهها وكانت على وشك أن تنفجر بالبكاء.

شعر هوادونغ بحرج شديد كما لو أنه هو المسؤول عما حصل.

فتناول التنورة الحريرية وعاين بقع الزيت عليها للحظة، فإذا بأساريره تنفرج، كما لو أن فكرة سارة خطرت له.

"لا تحملي هما! سأسوي الأمر وسيكون كل شيء على ما يرام." قال هوادونغ، محاولا تهدئة خواطر الجارة قبل أن تغادرهما عائدة إلى بيتها.

"وكيف يمكنك أن تزيل بقع الزيت؟" سألته أمه وهي تتنهد آسفة.

"لا عليك يا أماه،" أجابها هوادونغ مبتسما.

وحمل من فوره تنورة الحرير البيضاء وأصباغه كلها وتسلق الربوة الكائنة خلف القرية.

جلس على صخر منبسطة وأرسل ناظريه إلى قمم جبل كومكانغ الاثنى عشر ألفا ووديانه التي لا تحصى، وبدأ من ثم يمرر فرشاته على التنورة الحريرية.

وفي ظرف ثوان معدودات، كان جبل كومكانغ بقممه الاثنى عشر ألفا قد ظهر على التنورة.

كان الرسم من الدقة والحيوية بحيث كان بالمستطاع سماع خرخرة الجداول في الوديان من مجرد إلقاء نظرة عليه.

وفي اليوم التالي، قصد هوادونغ بيت جارتهما ومعه التنورة.

"تفضلي التنورة يا جارة."

أخذت المرأة منه التنورة وحدقت فيها ولم تلبث أن صاحت مشدوهة:

"يا الهي! ومن أين لك هذه؟"

"هذه التنورة الحريرية التي حملتها إلى بيتنا."

"ماذا؟"

وجعلت تحدجه بنظراتها، كما لو كانت غير قادرة على تصديقه.

فشرح لها ما فعل:

"بدا لي أنني مهما حاولت فلن أتمكن من إزالة البقع عنها، فكان أن رسمت صورة عليها يا جارة."

"هكذا إذن؟"

وألقت نظرة فاحصة أخرى على تنورة الحرير.

"ياه! يا لك من رسام ماهر!"

بدت مدهوشة كل الدهش بما ترى.

فأجابها هوادونغ وهو يفرك يديه ببعض:

"ليس لهذا علاقة بمهارة الرسم يا جارة. كل ما في الأمر أنني صورت جمال جبل كومكانغ على حقيقته. لهذا تبدو التنورة جميلة إلى هذا الحد."

"هل هناك يا ترى تنورة أنفس من هذه التنورة في الدنيا؟ حتى الأميرة بنت الملك لا ترتدي تنورة حريرية كهذه!"

وابتسمت المرأة وقد بلغ منها الفرح كل مبلغ.

فابتسم هوادونغ بدوره وقال لها:

"عندما أراك مسرورة كل هذا السرور، فكيف لا أكون مسرورا أنا أيضا؟"

وسرعان ما صارت التنورة مدار أحاديث وأقاويل كثيرة في القرى المجاورة.

وإذا بالنساء، عجائز وصبايا، يتوافدن لا بل يتزاحمن للوصول قبل غيرهن إلى بيت هوادونغ ومعهن أقمشة بيضاء.

فكان هوادونغ يرسم لهن على الأقمشة أزهار الأضاليا والفاوانيا التي تزهر في وادي أوكريودونغ، وأوراق القيقب الحمراء والصفراء التي تحلي وادي مانبوكدونغ في الخريف.

ومنذ تلك الحادثة، صارت سائر نساء قرى كومكانغ، على ما تقول الحكاية، يلبسن تنانير زاهية تصور سحر جبل كومكانغ، ومنها درجت العادة حتى اليوم.

ممر إيسيمنيون

حدث في قديم الزمان أن كان أخ وأخته يسيران قاصدين بقعة قصية في أحد الوديان تحت قمة بيرو، هو يحمل صرة كبيرة على ظهره وهي تحمل بقجة صغيرة على رأسها.

كانا ولدين يتيمين لا عائل لهما، وقد خرجا باحثين عن مكان ساكن يدبران فيه لقمة عيشهما.

وفيما هما يستريحان قليلا على صخرة، إذا بهما يشاهدان رجلا عجوزا يتجه ناحيتهما، نازلا من أعالي الوادي.

"من أين أنتما قادمان؟"

بدا صوته كرجع الصدى في الجبال.

فأخبره الصبي وأخته كيف وصلا إلى هنا ولماذا.

بعد أن سمع العجوز ما قالاه، نبههما إلى أنهما قد توغلا أكثر مما يجب في بهرة الوادي، وأردف بفظاظة:

"هذا بستان داري حيث أعيش وحيدا. لئن كنتما في الجبال، فهذا لا يعني أن بوسعكما الإقامة في بستان شخص آخر. فهيا ارحلا من هنا!" قال ذلك، ومضى بخطى خفيفة إلى خلوات الوادي السحيق من غير أن يلتفت

حتى برأسه إلى الوراء.

بدا كلامه هذا سخيفا جدا لهما، حتى إنهما لم يتمالكا نفسيهما عن الضحك.

فما كان بمقدورهما أن يصدقا أن هذا المختلي الجبلي الشاسع أن هو إلا بستان لبيت متوحد.

فلم يكترثا له البتة واستقر بهما المقام هناك.

فشيدا كوخ غماء مكنكنا على كتف رابية مشمسة، وعاشا في تلك البقعة القصية من ولاج الوادي المعزول.

وذات يوم، كان الصبي منكبا على تصليح حمالته ذات الذراعين في الفناء، فسمع أخته تناديه بأعلى صوتها من جنب الجدول حيث خرجت لغسل بعض البقول البرية:

"تعال انظر يا أخي. لقد وجدت زهرة غريبة!"

فترك أخوها ما بيده ومضى ليرى الزهرة. كانت بالفعل زهرة غريبة الشكل لكنها بديعة وقد نبتت وحيدة وسط مرجة خضراء فسيحة، وكان لونها أحمر.

فانحنى وشمها.

فوجد أن لها أريجا عذبا ونفاذا.

أزاح العشيبات جانبا واقتلع الزهرة من الأرض.

جذر الزهرة الضارب إلى الصفرة بدا شبيها بجذر زهرة الجريسة.

"رائع! سيكون لذيذ الطعم إن نحن سلقناه."

وفركت أخته يديها فرحا، ولكن في اللحظة التالية سمعت تصرخ في انشداه:

"يا الهي! إنها تنزف!"

نظر أخوها عن كثب فرأى نسغا وقرنفلي اللون ينز من خدش خفيف أصاب الجذر عند اقتلاعه من الأرض. بدا لهما الأمر عجيبا حقا. فوقف الفتى وأخته يتفرسان بصمت وتعجب في الجذر الأصفر الذي ينزف نسغا أحمر كالدم.

في تلك اللحظة، سمعا صوت أقدام تقترب منهما.

التفتا فوقع بصرهما على الرجل العجوز الذي سبق والتقياه قبل مدة. وكانت تبدو عليه أمائر الغضب الشديد.

"لم تضعان أيديكما على أملاك الغير الثمينة ... هيه؟"

"أو هذا الجذر لك هو الآخر؟"

سألاه هذا السؤال لأنهما لم يفقها جيدا معنى كلامه.

"أ تعرفان أي جذر هذا؟ لقد اقتلعتما كنزا نفيسا أفنيت عمري كله في تعهده والاعتناء به."

هكذا انفجر العجوز غاضبا وراح يسلقهما بنظراته النارية.

هنا فقط أدرك الصبي وشقيقته أن الذي بين أيديهما ليس بالجذر العادي.

كما تذكرا أيضا أنه سبق للعجوز أن طلب منهما المغادرة عندما وصلا إلى المكان قبل مدة بحجة أنهما يتعديان على أملاك الغير.

وتبادر إليهما أن ما قاله يومذاك له علاقة بهذا الجذر.

فتابع العجوز الكلام، معنفا إياهما بقسوة :

"منذ القدم والكل يعرف أن لا علاج لجذر نازف. فماذا أنتما فاعلان الآن؟"

وما كان لهما أن يفعلا شيئا سوى أن يعتذرا ويطلبا الصفح منه مرارا وتكرارا .

"احضرا ملء جرة من الماء الصافي من وراء ذاك الممر الضيق هناك واسكباه على هذا الجذر يوميا ولمدة عشرين سنة، فلعله يحيا من جديد."

قال العجوز ذلك ومشى بعيدا نحو الخلوات الفوق في بطن الوادي.

ومنذ ذلك اليوم دأب الصبي وأخته يأتيان بجرة طافحة بالمياه كل يوم، شاقين طريقهما عبر الأجمات الشائكة ومتسلقين جروفا منصبة، ويسكبان الماء على الجذر. واستمرا يؤديان مهمتهما هذه بكل تفان وإخلاص، لا يتقاعسان عنها يوما واحدا، ممطرا كان الطقس أم مثلجا لا فرق.

وأخيرا، هلت صبيحة السنة العشرين.

حين صبا الماء للمرة الأخيرة، حدث أمر أعجوبي.

فالنبتة الذابلة امتصت الماء وطلعت لها أوراق خضراء ثم ما لبثت أن انشقت عن زهرة حمراء فائقة الجمال.

"ياه!" صاح الشاب وشقيقته فرحين.

في هذه اللحظة بالذات، ظهر لهما الرجل العجوز.

تطلع إلى الزهرة وإذا بوجهه يسطع بالبشر والحبور.

"خي، الآن استرحت! لقد قمتما أيها الشابان بعمل رائع حقا."

ورمقهما بنظرة ملؤها الحب والعاطفة.

"هذا هو السانسام (الجنسنغ البري). وللحصول على هذا الدواء الثمين، أمضيت حياتي كلها في جبل كومكانغ. لقد ساعدتماني واعدتما إليه الحياة. إنني والحق لفي غاية السعادة."

وضحك ضحكة صادرة من الأعماق ثم أردف يقول:

"منذ اليوم وهذا السانسام ملككما. حين يحل الخريف، اجمعا بزوره وانثراها على كل جنبات الوادي تحت قمة بيرو."

ومضى بعيدا في سلام وهو يلوح للشاب وأخته، وعلى ثغره ارتسمت ابتسامة رضى عميق.

ومن يومها، انكب الأخ وأخته على زرع السانسام في كل وديان جبل كومكانغ، لا تغيب عن بالهما لحظة غايات العجوز السامية.

والممر الذي دأبا يقطعانه كل يوم وطوال عشرين سنة للإتيان بالماء ما لبث أن صار جامعو السانسام في البراري يسمونه بممر إيسيمنيون، أي ممر العشرين سنة، على سبيل التذكار.

عجوز وادي مانيانغ

في غابر الزمان، كان هناك شيخ مسن يعيش في قرية يانغزين بجبل كومكانغ.

كان عجوزا معدما، إذ أفنى معظم حياته في العمل أجيرا زراعيا عند أحد ملاك الأراضي، إنما ليطرد في النهاية بحجة عجزه وتقدمه في السن ويعود إلى مسقط رأسه لا يملك شروى نقير.

كان كل ما يملكه ثمة غليون قصير وجراب تبغ صغير منتسل الجوانب.

جعل العجوز يتحسر فترة على حظه العاثر في الحياة ثم ما لبثت أن نفدت من عنده المؤونة تماما، فاضطر إلى الرحيل عن قريته، قاصدا وادي خلف شلال كوانوم، بنية الحصول ولو على بعض الأعشاب ليقتات بها.

لكن الوادي كان سحيقا ومنحدراته مغطاة بالأجمات الكثيفة. زد على ذلك أن تقدمه في السن أوهن قواه، فكان كلما تسلق الصوح أكثر، ازداد إعياء وصار تنفسه أصعب فأصعب.

فجلس يستريح هنيهة تحت شجرة كستناء عتيقة تلقي أغصانها الفارعة ظلا ظليلا.

كان يتفصد عرقا غزيرا، وقد جف حلقه وانتابه ظمأ لا يحتمل.

فقام يتهادى نحو وشل جار ليشرب بعض الماء.

لكن قدمه تعثرت بشيء ما وكاد يسقط أرضا على وجهه. فنظر إلى موضع قدمه، فوجد جذرا ناتئا من الأرض. خيل إليه أنه قد يكون جذر جريسة، فأقبل يزيح عنه التراب بكلتا يديه. إنما اتضح له أثناء الحفر أن الجذر غليظ ومتجذر عميقا في الأرض.

فتركه وقام فشرب بعض الماء، ثم عاد إليه. وبشيء غير يسير من الجهد استطاع أن يقتلعه أخيرا.

كان الجذر كبيرا على نحو غير مألوف؛ كان بحجم فجلة كاملة النمو. فأخذه بين يديه وراح يتفحصه بدقة.

في هذه الأثناء، برز له من قلب الدغل نفر من جامعي الأعشاب والبقول البرية.

فصعقوا على الفور لما شاهدوا الجذر الذي يحمله العجوز بين يديه.

"أين وجدت جذر السانسام الكبير هذا؟"

"لم أر قط جذرا بهذا الكبر من قبل!"

وانبرى كل جامعي الأعشاب البرية ينظرون إلى الجذر في حسد ظاهر. عندئذ فقط أدرك العجوز أن الجذر الذي استخرجه إنما هو السانسام بعينه، لكنه وجد صعوبة في تصديق ذلك. فطفق يتفرس فيه ثانية وبدا له أنه يشبه الإنسان يقينا.

لكن الذهول لم يبارحه، متعجبا كيف يمكن لجذر أن يكبر ويصير بحجم مدقة الهاون.

وما عتم أن انتشر خبره. وابتداء من اليوم التالي، أخذ الناس يتوافدون زرافات ووحدانا على كوخه ليروا السانسام النادر المثيل.

فكانوا يصيحون تعجبا وإعجابا لمرآه ويطلقون شتى أنواع التعليقات؛ فقال بعضهم بأن أمنيتهم الكبرى هي أن يحصلوا على جذر سانسام كهذا؛ فيما أكد آخرون أن العجوز سينال ولا شك مكافأة سخية إن هو قدم الجذر هدية إلى والي القضاء.

النظر عن عمرهم وجنسهم. لذا كان معظم زوار جبل كومكانغ تقريبا يتوقفون ويستريحون هناك.

سرت أقاويل في البداية عن أنه عجوز غريب الأطوار. ولكن سرعان ما صار الناس يتأسفون إذا لم يروا العجوز بجانب ظلته عند سفح قمة مانمولسانغ.

كان العجوز يرتدي دائما ملابس قطنية خشنة ولم يكن نيقا أبدا في طعامه.

ذات يوم، عرج عليه أحد الشيوخ من القرية المجاورة وقال له بنبرة انتقاد مبطن إنه قد حصل في نهاية حياته على مبلغ خرافي هو عشرة آلاف نيانغ، ومع ذلك لم يره مرة واحدة يتناول وجبة لائقة فيما هو يحرص على عمل كل ما هو طيب للآخرين كل الوقت.

لما سمع العجوز منه ذلك، ضحك ضحكة قلبية وقال له بصوت خافت:

"حياتي كلها، من شبابي وحتى مشيبي، أمضيتها أفلح وأكدح كأجير زراعي في خدمة مالك أراض.

ومجرد تصوري أنني سأموت من غير أن أفعل شيئا صالحا للآخرين كان يبعث في نفسي الكمد والكدر.

ولكن بفضل السانسام الذي عثرت عليه، صرت، كما ترى، على أتم ألفة وانسجام مع الناس وأضحك وأمرح معهم، وهذا بنظري أثمن بكثير من عثرة آلاف نيانغ."

ولاحقا، صار يطيب للناس أن يتذكروا الشيخ الودود الطيب القلب. وهكذا، مع مرور الزمن، صار الوادي هناك يعرف بوادي مانيانغ.

صخرة مانغيانغ

كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان فتى يافع اسمه هوغا، وكان يقطن في كورة صغيرة بالقرب من صخرة ريوكهوا مع شقيقته مايهيانغ.

كان هوغا ومايهيانغ يعيشان في سعادة وهناء؛ في الربيع يفلحان الأرض، ينثران البذور ويحيكان القماش.

وذات ربيع، أغبت الحمى مايهيانغ على غير انتظار وتعاورها من جرائها السقام؛ ولبثت أياما لا تستطيع أن تأكل شيئا وقد لزمت في أثنائها الفراش.

جعل هوغا يعتني بأخته المريضة عناية كبيرة.

فكان يعد لها أطباقا شهية من جذور الجريسة البيضاء واليانسون وشطأ الآراليا التي كان يأتي بها من وادي أوكريودونغ. لكن مايهيانغ ما كانت تذوق شيئا منها.

وفي أحد الأيام، أسرت له أخته بأن نفسها تشتهي أكلة من سمك الاسقمري.

فانطلق هوغا من فوره إلى زانغزون، قرية الصيادين المشهورة على ساحل البحر الشرقي.

التقى لدى وصوله إلى هناك ببعض الصيادين. فأخبرهم عن أخته وما أصابها، ورجاهم أن يصيدوا بعض أسماك الاسقمري.

"الاسقمري أفضل الأسماك لفتح الشهية، ما في ذلك شك. لكن المشكلة هي أن موسم الاسقمري في حزيران."

كان الصيادون آسفين ومنزعجين، كما لو أن المشكلة تعنيهم شخصيا.

الوقت أيار. إذن، عليه أن ينتظر شهرا كاملا ليظفر بسمك الاسقمري. وحيث أنه يعز أخته معزة كبرى، فقد قرر ألا يعود إلى البيت إلا ومعه بعض أسماك الاسقمري حتى ولو أخذ صيدها سنة بحالها.

ومنذ ذلك اليوم، صار الصيادون يعلمونه كيف يجذف بالقارب، وكيف يعد عدة الصيد، إلى ما هنالك.

وعلى ذلك انقضى شهر كامل.

خرج هوغا إلى البحر بزورق اكتراه من أحد الصيادين.

كان يجذف بقوة حين سمع أصوات طرطشة من جانبي الزورق.

فخفض بصره، وإذا به يرى المياه تحت زورقه تعج بالأسماك.

وفي اللحظة التي رمى فيها بصنارته في الماء، علقت بها سمكة كبيرة بحجم الذراع؛ وعلى المنوال ذاته أخذ يصيد السمكة تلو السمكة.

بيد أنه لم يظفر، مع ذلك، بسمكة اسقمري واحدة.

فجذف هوغا مسافة أبعد في البحر طلبا للاسقمري.

وبغتة، بدأ البحر الساكن يتحرك تحته؛ ثم ما لبثت أن أخذت أمواجه تعلو وتتلاطم.

فارتج زورقه بعنف وصار يميل من جانب إلى جانب، مدفوعا بالأمواج المتلاطمة كالورقة في مهب الرياح، إلى أن انقلب الزورق أخيرا رأسا على عقب.

راح هوغا يسبح بكل قواه، متشبثا بالمجذاف، إلا أنه لم يكن سباحا ماهرا. وسرعان ما خارت قواه وابتلعته اللجة.

ومع الوقت، صارت الزيارات لمشاهدة جذر السانسام هذا، وإن عن غير قصد، فرصة للمزايدة عليه.

ولما كان أحد لم ير في حياته جذر سانسام كبيرا كهذا معروضا للبيع، فقد زاد ذلك من تشويق الناس وفضولهم، فصاروا يمكثون لا يبرحون المكان ليعرفوا ماذا سيحل به. كانت الأعشاب الطبية التي تنمو في جبل كومكانغ غالية الثمن نظرا لخواصها الممتازة ومنافعها العميمة. وهذا ما جعلهم يجزمون بأن جذرا بهذا الكبر لا بد وأن يكون باهظ الثمن بالتأكيد.

ولكي يحددوا ثمنه، وضعوه في الميزان. وقد تبين أن الجذر يساوي أكثر من عشرة آلاف "نيانغ" (مانيانغ بالكورية).

لقد سمعوا عن جذر سانسام يساوي ألف نيانغ. فكانت رؤية هذا الجذر النادر المثيل بأم أعينهم شيئا مثيرا حقا.

أحد الأغنياء، وكان قد جاء من بلدته لمشاهدة معالم جبل كومكانغ، رأى الجذر واشتراه بعشرة آلاف نيانغ.

فسر الجميع بذلك، قائلين إنه صار بوسع العجوز الآن أن يقتني مزرعة ومواشيا ويستعيد صحته وعافيته.

ونزولا عند نصيحتهم، ابتاع العجوز بالمبلغ رقعة من الأرض القابلة للزراعة وبستانا صغيرا للفاكهة.

وعكف منذئذ على زرع الشمام والبطيخ بقدر ما تسمح له قواه؛ وفي الخريف، كان ينصب ظلة بجانب الطريق الصاعد إلى قمة مانمولسانغ.

كان العجوز يجلس تحت ظلته طول النهار ويدعو إليه الزوار ممن قدموا للاستمتاع برؤية مناظر جبل كومكانغ الساحرة ويقص عليهم حكايات عن كل قمة من قممه الاثنى عشر ألفا.

وكان يضيفهم من الشمام والبطيخ اللذين يزرعهما في أرضه، ولكن من غير أن يتقاضى أي ثمن.

كان يدعو جميع المارة والعابرين للجلوس تحت ظلته، بصرف

نعود إلى مايهيانغ، فقد كانت أثناء غيبة أخيها تتسلق الجبل الكائن خلف الكورة إلى قمته الصخرية العالية، حتى ولو كان الطقس ممطرا أو عاصفا، لتنظر من هناك إلى عرض البحر وكلها ترقب وانتظار لعودة أخيها الحبيب.

وكانت تظل قابعة حيث هي حتى إلى ما بعد حلول الظلام، كما لو أنها مسمرة إلى الأرض، مرسلة ناظريها نحو الأفق البعيد الملفع بنقاب الديجور، وقد سهى عن بالها تماما أنه حان الوقت لكي تعود أدراجها إلى البيت.

حتى حيوانات الجبل كانت تتأسى لحالها تلك، فكانت تحمل إليها الفاكهة البرية وتضعها بجانبها. وحتى طيور الوقواق والطيور الليلية الأخرى التي تتخذ من جبل كومكانغ مألفا لها، كانت تتجمع لتجالس مايهيانغ وتؤانسها طوال الليل، وتتناوب فيما بينها على إنارة الظلمة من حولها.

فكانت مايهيانغ تشعر إلى حد التدمع بالامتنان والعرفان لتلك الطيور التي تظهر كل هذا اللطف والكرم تجاهها، رغم أنها خرساء لا تنطق.

نعود إلى هوغا. فبعدما ابتلعته اللجة، راح يغور ويغور في أعماق البحر، ودهش حين شاهد السلاحف تندفع أسرابا نحوه.

لقد أرسلها الملك التنين سلطان البحر الشرقي خصيصا إليه، تقديرا منه لصنيعه الجميل.

فأجلست هوغا على ترس إحداها، ومضت به من ثم إلى قصر الملك التنين.

بعد ما استمع الملك التنين إلى قصته، هز رأسه، وقال: "المحبة القائمة بينك وبين أختك محبة عميقة ومتأصلة. لذا قررت أن أساعدك، فلا تعتل أي هم."

ثم نادى على بعض أسماك الاسقمري أن تحضر فورا إلى القصر البلوري. فحضرت على الفور اسقمريات لا تعرف ما الأمر وهي ترتجف وترتعد، غير قادرة على رفع رؤوسها.

فصرخ فيها الملك التنين:

"أ من وجه للمقارنة بين ما اقترفت من أفعال شائنة والصنيع النبيل الذي أتاه هذا الفتى القادم من فوق البحر؟

أخوات أنت. ومع ذلك، فأنت لا تتفقين ولا تتألفين مع بعضك بعضا، بل تتشاجرين على الدوام فيما بينك حتى يعلو صراخك. وهذا ما دفعني إلى الإلقاء بك في السجن. فهل تدركين كم هو بغيض سلوكك هذا؟"

على هذا النحو جعل الملك التنين يقرع ويعنف الاسقمريات دونما هوادة. ثم مضى إلى القول:

"أود أن أتيح لك فرصة أخيرة للتوبة. فاسمعي ما سأقوله جيدا.

عليك أن تذهبي إلى جبل كومكانغ في الحال لتفشي شقيقة هذا الفتى الهمام من مرضها."

ما إن أعطى الملك التنين تعليماته هذه حتى صاحت الاسقمريات بصوت واحد وهي تهز برؤوسها علامة الموافقة: "سمعا وطاعة! سمعا وطاعة!"

بعدما أمضى هوغا عدة أيام في قصر الملك التنين يتناول أشهى الأطايب وألذ المأكولات، غادر القصر ممتطيا ترس سلحفاة ويواكبه سرب من سمك الاسقمري.

رغم أن البحر كان على عمق آلاف الفراسخ، إلا أنه انفتح بواسطة سرب الاسقمري الذي كان يتقدم الموكب، وإذا بالسلحفاة التي تحمل هوغا على ترسها تطفو حالا إلى سطح البحر الساكن.

كانت الاسقمريات تمخر العباب بسرعة متجهة صوب الشاطئ عندما ظهرت لها فجأة مجموعة من الدلافين الضارية، وقد اندفعت رأسا نحوها، مثيرة زوبعة من الزبد.

الموقف دقيق ومحفوف بالخطر.

في تلك اللحظة، انفلتت الاسقمريات وكرت على الدلافين وهي تشحذ زعانفها، مطلقة صيحات القتال.

عندما رأت الدلافين الجبانة أن الاسقمريات تفوقها عددا بالمئات،

نكصت على أعقابها وولت الأدبار.

فتابعت عندئذ السلحفاة سيرها وضاعفت من سرعتها.

حين رفع هوغا رأسه، استطاع أن يرى من بعيد جبل كومكانغ بقممه الاثنى عشر ألفا متسربلة في وشاح سديمي رقيق.

توقف هوغا عند جزيرة آل الصغيرة لأخذ قسط من الراحة؛ وكانت الشمس قد توسطت فعلا قبة السماء حين وصل إلى زانغزون حيث وقف يتطلع إلى جبل كومكانغ بعاطفة مشبوبة.

ما إن ترجل هوغا على الشاطئ الرملي، حتى هرع غزال إليه. كان الغزال هذا أحد معارفه القدامى ويعيش على التلة الواقعة خلف قرية ريوكهوآم.

ربخ الغزال على الأرض وحث هوغا على أن يمتطيه.

بيد أن هوغا عندما رأى الغزال، اكتسحته في الحال رغبة جامحة في رؤية أخته مايهيانغ.

كان يريد أن يصل إلى أخته بأسرع ما يمكن.

لكنه تردد، إذ شعر بالحزن لفراق السلحفاة ولأنه ما كان يدري ماذا يفعل الاسقمريات.

في تلك اللحظة، جلجل دوى الرعد وبرقت السماء، وتبع ذلك سقوط مطر هتون وهبوب ريح هوجاء. وفي لمح البصر، اختفت السلحفاة والاسقمريات التي كانت تقف أمامه عن الأنظار.

وراح الغزال، وهوغا على ظهره منشده مبهوت، يعدو كالسهم نحو التلة الكائنة خلف قرية ريوكهوآم. وهناك قفز هوغا من على ظهر الغزال وقد اتسعت حدقتا عينيه تحت وطأة المفاجأة.

فقد رأى أخته الحبيبة مايهيانغ واقفة هناك كالصنم تنظر بعيدا نحو الأفق.

"مايهيانغ!"

"أخي!"

وهرع الأخ وأخته إلى بعض وهما يطلقان صيحات الفرح.

مايهيانغ تنغل بوجهها في صدر أخيها وهي تشهق "أخي! أخي!" ويعلو لها نشيج.

كانت فرحة اللقاء أكبر من أن تسع هوغا ومايهيانغ، بيد أن ثمة مفاجأة أخرى كانت بانتظارهما.

فقد وجدا السلحفاة والاسقمريات تبرعط في مياه بركة دردورية كبيرة هناك.

فحكى لها هوغا عن رحلته الغريبة إلى قصر الملك التنين وقادها من يدها إلى البركة. فتقافزت عندئذ الاسقمريات على حافة البركة لتحيتهما وهي تضرب الماء بزعانفها الذيلية، وكانت ثمة رائحة غريبة تصدر عنها. عندما شمت مايهيانغ تلك الرائحة، شعرت بالانتعاش وسرت في أوصالها سارية من القوة والنشاط.

فنظرت مايهيانغ إلى الاسقمريات وهي تبرعط في البركة بزعانفها الذيلية التي تلوح ذات اليمين وذات الشمال، وقالت:

"عزيزاتي الاسقمريات، أشكرك جزيل الشكر. إنني قد صرت على ما يرام، وبإمكانك أن ترجعي الآن إلى قصر الملك التنين."

ثأثر هوغا لرقة قلب مايهيانغ التي تعني بأمر الاسقمريات رغم أنها مجرد أسماك من البحر ليس إلا.

وبدوره، نظر هوغا نظرة ملؤها المودة إلى السمكات وخاطبها، قائلا:

"لا تقلقي علينا بعد الآن أيتها الاسقمريات، فعودي إلى ديارك، رجاء. لقد تعافت أختي مايهيانغ تماما، ولا شك أن الملك التنين سيرضى عنك وسيكون مسرورا بما فعلت."

لكنه كان في قرارة نفسه قلقا وحزينا لكونه لا يعرف كيف يعيد السلحفاة والاسقمريات إلى البحر وعن أي سبيل.

في تلك اللحظة، دوى قصف الرعد من جديد، قصف ارتجت له السماء والأرض، وتهاطل المطر مدرارا. فامتلأت البركة وفاضت، وفيضانها اكتسح الوادي آخذا معه السلحفاة والاسقمريات إلى البحر.

ومن كل جنبات الغابة تقاطرت الحيوانات البرية، ومن كل المظان

تواردت الأطيار بما فيها طيور الوقواق.

وراحت الأطيار تغرد بمرح فوق رأسي هوغا ومايهيانغ، والأيائل والظباء واليحامير ترقص نشوانة على تغريد الطيور.

وفيما بعد، أطلق سكان جبل كومكانغ على الصخرة المتسامقة التي كانت مايهيانغ تقف عليها، تحت المطر أو في مهب الريح، تنتظر بلهفة عودة أخيها من البحر، اسم "صخرة مايهيانغ"، أي الصخرة المشرفة على البحر.

بويونغ وزانغساي

في حقبة سحيقة من غابر الأزمان، كانت هناك أميرة حسناء تدعى زينرانغ تعيش في مملكة السماء.

وكان الملك، أبوها، قد أنشأها ورباها بحدب ما بعده حدب وحنان لا يدانيه حنان.

وفي كنف حب أبيها الدافئ هذا، كبرت زينرانغ بسرعة حتى استوت عذراء بارعة الجمال.

وذات عام، عين الملك موعدا لحفل خطوبتها.

ومع اقتراب يوم خطوبة الأميرة زينرانغ، ارتدت المملكة كلها حلة قشيبة من الزينات، ودبت فيها حركة نشطة غير عادية.

الجان الصغار انكبوا يدبجون الخطب الرائعة وينظمون القصائد العصماء، فيما انشغلت الحوريات بخياطة أثوابهن العيدية لليوم المشهود.

بيد أنه وقبل أيام معدودات من حلول اليوم المشهود، سقطت الأميرة زينرانغ فجأة مريضة. وكان مرضها من النوع الخطير جدا.

فأسرع أشهر أطباء المملكة إلى القصر يصفون الأدوية للأميرة

ويقومون على علاجها ليل نهار. غير أن أيا من أدويتهم أو علاجهم لم ينفع بشيء.

بل، على العكس، راحت حالتها الصحية تسوء وتتدهور يوما بعد يوم.

والمملكة التي كانت أشبه بالراقود الفوار بالحيوية والبهجة، ما لبثت أن غشتها غاشية الأسى والكرب.

وفي أحد الأيام، عادها نطاسي مشهور جاء من إحدى القرى على القمر. وبعدما جس نبضها، قال بأن الأميرة سوف تتعافى يقينا إن هي شربت خلاصة عشبة الخربق الذهبية التي تنمو على قمة جبل كومكانغ المسماة بقمة ريوندای.

وسر الملك حين سمع ذلك.

واستدعى إليه في الحال وصيفته الحورية، وكان اسمها بويونغ، وقال لها:

"انزلي حالا إلى قمة ريوندای وائتني بشيء من عشبة الخربق. إن لكل ثانية أهميتها، فاذهبي بسرعة ولا تتلكئي."

هنا ارتبكت بويونغ ارتباكا شديدا. إذ لم يحدث أن رأت عشبة الخربق من قبل. فجعلت تسائل نفسها (كيف لي أن أجدها؟) كانت، والحق يقال، في زنقة خانقة.

على كل حال، الوصيفة لا تستطيع عصيان أمر الملك.

فوضعت بويونغ عليها غلالتها المجنحة على عجل وطارت نازلة إلى جبل كومكانغ.

ما إن حطت الحورية بويونغ على الجبل حتى شرعت تتسلق جروف قمة ريوندای الشاهقة وتمشط الوديان تحتها، بحثا عن العشبة الذهبية. إنما من دون أن تعثر لها على أي أثر.

فأخذت تضرب على صدرها في يأس وإحباط، وعيناها مرفوعتان إلى السماء.

شعرت بقشعريرة تسري في أوصالها حين خطر لها أنها إن لم تعثر على الخربق، فإن الملك سيعاقبها عقابا عسيرا وقد يمنعها حتى من العودة إلى مملكة السماء.

مضى عليها يومان كاملان وهي تبحث عن عشبة الخربق، إنما على غير طائل.

وفيما هي تصعد منحدرا في سأم وإعياء زلت بها قدمها وتدحرجت إلى سفح المنحدر وهي تصرخ من هولها.

لما استردت وعيها وفتحت عينيها، وجدت نفسها مضطجعة على كومة من الأوراق الجافة داخل مغارة. فملكها روع وحاولت أن تنهض. لكنها بالكاد كانت تستطيع تحريك أصبع من أصابعها. أحست كما لو أن جسمها ثقيل كالرصاص، وكما لو أنها تغوص في الثرى.

في تلك الهنيهة، تقدم منها شاب كان يراقبها بعينين قلقتين من مدخل المغارة، وقال لها:

"كيف حالك الآن؟ من حسن الحظ أن جراحك ليست خطيرة. لا بد وإن مكروها حصل لك، أليس كذلك؟"

"أشكرك. إنني لا أعلم كيف يمكنني أن أكافئك على معروفك معي ..." أجابته بويونغ وهي تختلس النظر إلى الشاب بحياء وبنظرات ملؤها العرفان. ولم تستطع أن تقول أكثر من ذلك، فأدارت وجهها عنه لتداري الدموع المنبجسة من مآقيها.

كان الشاب يعيش في قرية على الساحل غير بعيدة عن تلك المغارة، وكان اسمه زانغساى. صحيح أنه فقير، إلا أنه مع ذلك طيب القلب ومجتهد، ويحيا حياة هانئة رضية، معيلا أباه وأمه.

في ذلك النهار، كان زانغساي قد جاء جريا على عادته لجمع الحطب من البرية. فعثر على غير توقع على فتاة غريبة منطرحة أرضا ومغمى عليها عند أسفل الجرف؛ فما كان منه إلا أن حملها ونقلها إلى داخل المغارة.

سأل زانغساي الفتاة عما حملها على المجيء والتجول في تلك الفلوات القصية من أعماق الجبل.

"الحقيقة .. الحقيقة إنني أقطن في قرية ما وراء الممر. وأمي مريضة جدا، وقد جئت أبحث عن عشبة الخربق، ولكن .... "

كانت تكذب لأول مرة في حياتها. وما حدا بها إلى الكذب تصورها أنها لو أخبرت الشاب بالحقيقة وأنها حورية نزلت من السماء، لاضطرب وتبلبلت خواطره؛ زد على ذلك أنه لو أفلتت منها كلمة عن أن السماء قد أرسلتها للإتيان بعشبة الخربق، فلربما عقد ذلك الأمور بدلا من أن يسهلها.

فشعر زانغساي بالأسف لها.

"عندك مشكلة إذن. أنا أيضا سمعت عن الخربق، ولكن أحدا لم يره مرأى العين. على أي حال، إن ما لحق بك من أذى لا يسمح لك بالعودة إلى بيتك، دع عنك التفتيش عن عشبة الخربق. فهيا بنا، إذن، إلى بيتي حيث يمكنك أن تتعافى هناك. ستبذل أمي قصارى جهدها للسهر عليك والاعتناء بأمرك."

فغلب بويونغ تأثر شديد إزاء تلك العاطفة الدافئة التي أظهرها لها الشاب. ولكن، حيث أنه كان محظورا حظرا باتا على الحوريات أن يتخالطن ويختلطن مع البشر على الأرض، فقد ردت وعيناها مغرورقتان بالدموع:

"لا أجد الكلام المناسب الذي أعبر لك به عن شكري وامتناني على تعاطفك الكريم معي، أنا الفتاة المسكينة؛ إنما لن أغادر هذا المكان قبل أن أعثر على عشبة الخربق."

أدرك زانغساي من نبرة كلامها أنه لن يستطيع أن يثنيها عن عزمها، فتوجه إلى مسكنه حيث أخبر أمه بقصة الفتاة. وإشفاقا منها على الفتاة، أعدت أمه زبدية من ثريد الأرز وأعطتها له. كان بودها أن تذهب وتقدمها بنفسها للفتاة، إلا أن صحتها المتوعكة ما كانت تسمح لها بذلك.

وشيئا فشيئا استردت الفتاة قواها، ومع هذا التحسن، صارت أم زانغساي ترسل لها السرغوم المسلوق والبقول البرية اللذيذة. وكانت بويونغ تأكل ما يقدم لها بشهية، فكان أن وقفت على قدميها بعد ثلاثة أيام فقط.

بيد أنها كانت، مع ذلك، فاقدة الأمل بالعثور على الخربق؛ وهذا ما كان يؤرق بالها ويقض مضجعها.

"هيا نفتش عن الخربق معا، وعندها سوف نتمكن حتما من ضمان الشفاء لأمك." قالها زانغساي ليهدئ من خواطر بويونغ. فقالت في سرها (يا له من إنسان دقيق القلب!) ورمقته بنظرة ملؤها العاطفة.

قلب زانغساي، هو الآخر، راح يخفق خفقانا شديدا وهو يرنو إلى الفتاة التي بدت له أشبه ما تكون بوردة الخلنج.

وغادرا المغارة سوية.

وفيما كانت بويونغ وزانغساي ينقبان معا عن عشبة الخربق في جوف أخدود سحيق، إذا بضوء ذهبي باهر يلمع على مقربة من موضع أقدامهما. وكان من السطوع بحيث اضطرا إلى حجب عيونهما بأيديهما.

"إنه الخربق يرسل هذا البريق الذهبي!" صرخ زانغساي وأسرع راكضا نحو مصدر البريق.

ولحقت به بويونغ وقد استبدت بها هيجة شديدة.

وجدا عشبة نضرة تبتعث أشعة ذهبية وهي تتمايل برفق مع النسيم. وكان يفوح منها عبير قوي يدغدغ الأنوف.

ولعل زانغساي كان أشد ابتهاجا بالعشبة من بويونغ، فانحنى وراح يستخرج عشبة الخربق من غير أن يضر حتى بأدق شروشها، ثم استقام ووضعها في كفي بويونغ، قائلا:

"تفضلي خذيها."

"لك الشكر، ألف شكر. سأحملها إلى أمي ثم أعود ثانية. فانتظرني رجاء."

وغادرته الحورية على مضض، والتفتت أكثر من مرة إليه، كأنها لا تريد الافتراق عنه.

ما كادت الأميرة زينرانغ تبلع خلاصة عشبة الخربق التي أحضرتها لها الحورية بويونغ من جبل كومكانغ، حتى تضرجت شفتاها بالاحمرار وانتظمت وتيرة تنفسها، وسرعان ما استعادت عافيتها تماما.

فكانت فرحة الملك بشفاء ابنته تعز عن كل وصف.

استدعى إليه الحورية بويونغ وقال لها:

"إنك تستأهلين أرفع آيات التقدير، وأود أن أكافئك على إخلاصك وتفانيك. سليني ما شئت."

فركعت الحورية بويونغ أمامه وقالت:

"هل لي أن أخبر مولاي بكل تواضع أن أغلى أماني هذه الحورية الجاثية أمامكم هي أن تنزل وتعيش في ربوع جبل كومكانغ، الجبل الأشهر في كل أرجاء الدنيا لما حبي به من مناظر طبيعية ساحرة."

طلبها غير المتوقع هذا فاجأ الملك؛ وفكرة مغادرتها لهم أحزنته أشد الحزن.

مهما يكن من أمر، فقد أعلن أنه سيستجيب لطلبها أيا كان؛ وعليه، ما عاد بوسعه أن يرفض أبدا.

فلبث الملك صامتا برهة وجيزة وهو يحدق في الحورية بويونغ الجاثية أمامه. ثم أطلق تنهيدة طويلة، وقال: إذا كانت هذه رغبتك الجادة فعلا، بإمكانك الذهاب." حتى الملك كان غير راغب في رحيلها عنهم.

أما بويونغ، فنزلت من جديد إلى جبل كومكانغ حيث التقت بزانغساي وأخبرته كل شيء.

وكانت فرحة زانغساي لا توصف.

أخذها زانغساي إلى قريته على الساحل وهناك عقد قرانه عليها.

وفي صبيحة يوم القران، سقطت من السماء صخرة على شكل ستارة ارتفاعها يزيد عن عشر قامات وانغرزت عميقا في البحر على مسافة غير بعيدة من الشاطئ.

وكانت تلك ستارة أرسلها ملك مملكة السماء هدية منه إلى العروسين في يوم عرسهما.

وفي وقت لاحق، بنى زانغساي وبويونغ بيتا مكنكنا لهما من جذوع أشجار الصنوبر الجوزي من جبل كومكانغ فوق الصخرة الشبيهة بالستارة، وأطلقا عليه اسم "جوسق تشونغسوك"، أي جوسق الصخور المتعامدة.

أونسادارى وكومسادارى

يحكى أنه كان في سالف الأوان ولدان لطيمان، أخ وأخته، يعيشان في بطن واد سحيق تحت قمة بيرو بجبل كومكانغ.

الأخت تحيط أخاها الصغير البالغ من العمر تسع سنوات بعناية فائقة عوضا عن والديها المتوفيين؛ والأخ يعيش سعيدا مع أخته الوحيدة، معتمدا كل الاعتماد عليها.

وذات ربيع، ألم بأخته مرض وبيل. فتولى الصبي شجن مرير، وطفق يبكي ويعول معظم الوقت، حاضنا أخته الحبيبة بين ذراعيه.

وفي أحد الأيام، جاء طبيب من قرية بايكانغ وعاين الفتاة. فقال بأنها ستشفي من مرضها إذا هي أكلت ملء سلة من ثمار شجرة القرفة التي تنمو على سطح القمر.

(ثمار القرفة!) رددها الصبي بينه وبين نفسه وقد عقد النية على الذهاب إلى القمر والإتيان بالترياق لشقيقته، مهما كانت المسافة إليه بعيدة.

وفي صبيحة اليوم التالي، وحتى لا يثير حفيظة أخته، أخبرها بأنه متوجه إلى البرية لجمع بعض الأعشاب الطبية، وغادر قاصدا قمة بيرو القصية ذات المسالك الوعرة.

لقد سمع أحدهم ذات مرة يقول بـأن قمة بيرو هي أقرب نقطة إلى السماء.

بيد أنه لم تكن لديه أية فكرة عن كيفية الوصول إلى القمر حين بلغت به قدماه أعلى قمة بيرو.

فعيل صبره، وظل ينظر عاليا إلى السماء طوال النهار بحثا عن مرتقي يرتقيه، إلى أن دلكت الشمس إلى غسق الليل وبدأت النجوم تظهر في قبة السماء.

فجأة، سمع أصوات قعقعة آتية من مكان ما. فانتابه الخوف حتى إنه أسرع بالاختباء خلف صخرة وأخذ بصره مستطلعا حوله.

فإذا بسلم أبيض مبهر يتدلى من السماء، وثمة حورية تنزل عليه، حاملة جرة ماء بديعة في ذراعها.

هذا المشهد العجيب فتنه وخلب منه الألباب.

وما إن حطت الحورية على الأرض، حتى شاهد السلم الفضي يسحب في الحال إلى السماء.

كرجت الحورية بخفة ورشاقة إلى كعب الوادي وجرة الماء بين ذراعيها.

وبعد برهة، عادت بجرتها مملوءة ودنت من الصخرة حيث كان الصبي متواريا.

دست يدها في نقرة في الصخرة وأخرجت منه حجرا نورانيا ووجهت أشعته نحو السماء .

وما هي إلا ثوان، حتى كان سلم ذهبي هذه المرة قد تدلى من السماء.

أعادت الحورية الحجر العجيب إلى مكانه في النقرة وتسلقت السلم عائدة إلى السماء.

الحورية تصعد على السلم، والسلم الذهبي ينسحب صاعدا خلفها هو الآخر.

بعدما رأى الصبي هذا المشهد المذهل، خرج من مخبئه خلف الصخرة دونما وجل، ثم مد يده إلى داخل النقرة وأخرج منها الحجر النوراني الذي تركته الحورية هناك.

كان كناية عن درة كبيرة تلمع بكافة ألوان قوس قزح.

أما وقد اكتشف السر الآن، فقد تملك الصبي فرح عظيم، حتى إنه راح يمرر الدرة على خده في نشوة عارمة.

ثم وجه أشعته نحو السماء على نحو ما فعلت الحورية قبل لحظات.

فإذا بسلم ذهبي يتدلى من السماء، محدثا صوتا كالقعقعة.

فأسرع الصبي وأمسك بالسلم الذهبي ثم صعد عليه إلى القمر.

في تلك الأثناء، كانت شقيقته الطريحة الفراش قلقة عليه. فقد تركها صباحا على أساس أنه ذاهب ليجمع بعض الأعشاب الطبية، إلا أنه لم يعد بعد رغم مضي وقت طويل على حلول الظلام. فنهضت من فراشها بمنتهى الصعوبة وخرجت من المنزل بحثا عن أخيها الصغير، وفي يدها مصباح داخل مشكاة ورقية.

بحثت الفتاة عن أخيها في طول الوادي أسفل قمة بيرو وعرضه وهي تنادي عليه حتى بح صوتها.

لكن صيحاتها الباعثة على الإشفاق كانت تغرق في جلبة الأدغال ويبتلعها هزيم الريح الصافرة.

ما إن ترجل أخوها على سطح القمر حتى توجه من فوره إلى أجمة من أشجار القرفة وقطف ملء سلة من ثمار القرفة الشبيهة في شكلها بالقرع.

وفيما كان الصبي على وشك مغادرة أجمة القرفة، علم ملك القمر بأن كائنا من الأرض قد انتهك حرمة مملكته، فتملكه غضب شديد.

وفي ثورة غضبه تلك، أقدم الملك على تحطيم السلمين اللذين يوصلان إلى القمر بعصاه شذر مذر، قائلا بأن السلم الذي يستخدمه

البشر مرة لا يعود بمقدور الحوريات استعماله بعد الآن.

إذن، تحطم السلمان الفضي والذهبي إربا، وتناثرت شظاياهما على قمة بيرو في ضوضاء تصم الآذان.

وأمر ملك القمر من ثم بإحضار الصبي إلى القصر الملكي.

تفرس الملك في وجه الصبي هنيهة قبل أن يسأله عن سبب مجيئه إلى القمر.

وبصوت متلجلج يقطعه النشيج، أخبره الصبي بكل شيء، وتوسل إليه أن يدعه يذهب ويأخذ معه ثمار القرفة.

عندما سمع الملك قصة الصبي، لان قلبه قليلا وأبدى شيئا من التعاطف بأن قال له:

"لم أكن أعلم أن مثل هذه العاطفة العميقة تقوم بين الأخ وأخته على الأرض. إنني آسف لتحطيمي السلمين الفضي والذهبي في ثورة غضبي."

هكذا تأسف الملك على تصرفه وأردف قائلا:

"ليس بيدي حيلة. سأعطيك فرسا مجنحة، فعد بها إلى شقيقتك."

امتطى الصبي صهوة الفرس وطار بها كالريح نازلا إلى قمة بيرو.

والقمر بعيد، بعيد جدا. ولهذا، حتى الفرس السريعة قضت نصف شهر للوصول إلى الأرض.

في غضون ذلك، استمرت الفتاة تبكي بحرقة على أخيها الحبيب في الوادي أسفل قمة بيرو حتى جفت دموعها، ثم ما لبثت أن لفظت أنفاسها من غير أن ترى وجهه ثانية.

لكن الغريب في الأمر، أن المصباح الذي كانت تحمله في يدها ظل مضاء مدة طويلة حتى بعد موتها.

وقد تحول بعد ذلك إلى زهرة جميلة.

والصبي الذي بكى أخته وبكى حتى فت كبده، أطلق على الزهرة اسم "كومكانغ تشورونغ"، أي مشكاة كومكانغ.

وهذه الزهرة التي لا تجدونها في أي صقع من أصقاع الدنيا سوى في جبل كومكانغ، هي، على ما يقال، روح الأخت التي لم تستطع

مبارحة الوادي أسفل قمة بيرو بعدما لم تجد مكانا آخر تذهب إليه قبل ملاقاة أخيها.

والعمودان الصخريان المنتصبان فوق أعلى قمة بيرو والمتشكلان من شظايا السلمين الفضي والذهبي المحطمين التي تحولت لاحقا إلى صخور، ما برحا إلى الآن، وكما في قديم الزمان، يسميان "أونساداري" و"كومساداري"، أي السلم الفضي والسلم الذهبي.

الصخرة الضفدعة

تقول الحكاية إنه كان في زمن من الأزمان أم ضفدعة تعيش في بئر بإحدى القرى، وإن هذه الضفدعة قد طافت العالم في شبابها وإنها رأت أجمل مناظر الدنيا. وقد اعتادت أن تجمع صغارها وتقول لها:

"يا صغاري، ليس ثمة في العالم الخارجي شيء مميز. ليس هناك أي شيء يستأهل المشاهدة. ومهما تقول الناس، البئر الذي نعيش فيه هو الأفضل طرا. فكما ترين، الماء عندنا دائما صاف ونقي، وكذلك الجدار المؤشن آية من آيات الجمال."

كثيرا ما كانت الأم الضفدعة تتباهى هكذا أمام صغارها بالبئر حيث تعيش وإياها.

لذا، لم يخطر ببال صغار الضفادع جميعا أن يكون ثمة مكان أجمل من ذلك البئر في الدنيا.

وذات يوم، جاء كندش وعقعق فوق البئر.

فاشرأبت صغار الضفادع برؤوسها من الماء ونظرت إليه.

ثم راحت تتبارى فيما بينها في الافتخار والتباهي أمامه ببئرها.

"يا عم، يا كندش! تعال ذق شربة من هذا الماء الرائق الصافي."

"يا عم، يا كندش! انزل من فضلك إلى بئرنا وانظر منه عاليا إلى السماء المستديرة."

هكذا أخذت صغار الضفادع تستحثه بالدور على النزول إليها.

والكندش يسمع تبجحاتها هذه ويغشى من الضحك.

"بئرك، أيتها الضفادع، مكان يطيب العيش فيه بالطبع. إنما استمعوا إلي يا صغار!"

وأخبرهم الكندش بحماسة عن آلاف القمم الفاتنة التي يمكن رؤيتها في أنحاء جبل كومكانغ.

"ماذا؟!"

"أهناك مكان كهذا في الدنيا؟"

وأمالت الضفادع برؤوسها، مرتابة بكلام الكندش. بدا لها أن الكندش يستغبيها ويحاول الضحك عليها.

"أو تعني حقا ما تقول أيها الكندش؟" سألته الأم الضفدعة فاغرة العينين.

"أجل. وإذا كنت لا تصدقينني، فتعالي معي لترى جبل كومكانغ بنفسك." أجابها الكندش، هازا ذيله.

الأم الضفدعة لم تعد تطيق صبرا. فما كان في وسعها أن تصدق الكندش إن لم تر بعينها.

فنظرت عاليا إليه وسألته: "أ تحملني على ظهرك إلى جبل كومكانغ يا كندش؟"

"وكيف لا،" أجابها الكندش دون تردد.

وبالفعل، رفرف الكندش نازلا إلى قعر البئر. وضع الأم الضفدعة على ظهره وطار. طار متحديا الرياح، وظل يطير ويطير عبر السحاب حتى وصل إلى جبل كومكانغ.

حط الكندش بالأم الضفدعة في منتصف المنحدر الصاعد إلى قمة أوكنيو، وقال لها: "حسنا، ها نحن قد وصلنا إلى جبل كومكانغ."

فحملقت الأم الضفدعة مذهولة بالقمم من حولها.

كانت القمم الشماء ترتفع فوق الغيوم؛ فيما الجداول بمياهها البلورية تترقرق على مهل في الوديان، عاكسة تلألؤ أشعة الشمس كلفيفة من حرير بالغة الروعة.

"رائع! رائع!"

فلتت من فم الأم الضفدعة صيحة إعجاب صارخ.

إذ لم تر في حياتها منظرا كهذا، رغم أنها سبق وطافت العالم في شبابها على ما تقول.

(أ يكون على الأرض ثمة مكان رائع كهذا!)

وتساءلت في نفسها ما إذا كانت تحلم.

مسحورة هكذا بمناظر جبل كومكانغ الخلابة، لبثت الأم الضفدعة مجمدة في مكانها لا تتزحزح.

وترادفت الأيام والضفدعة ما برحت بعد على منحدر قمة أوكنيو كما لو أنها متجذرة في الأرض.

لقد أسرتها روعة المناظر الطبيعية، فنسيت تماما صغارها التي تنتظر عودتها على أحر من الجمر تحت في البئر.

"لقد رأيت بما فيه الكفاية أيتها الأم الضفدعة، فهيا بنا نعود الآن." عقعق الكندش فوق رأسها.

عندها فقط تذكرت الأم الضفدعة صغارها، فقالت مخاطبة نفسها:

(يا لي من نساية! علي أن أعود الآن وأخبر صغاري عن مناظر جبل كومكانغ.)

وكانت على وشك الانطلاق، عائدة إلى بئرها.

إلا أن المنظر الأخاذ بدد كل رغبة لديها في الرحيل. فالتفتت إلى الكندش وقالت:

"دعني ألقي نظرة أخرى أرجوك يا كندش!"

وأشرعت عينيها تتملى وتتملى بهما في انبهار وانشداه قمم جبل كومكانغ الإثنى عشر ألفا ووديانه.

ومضى وقت طويل والضفدعة على هذه الحال مسلوبة اللب بقمم جبل كومكانغ، فكان أن تحولت آخر الأمر إلى صخرة.

الصخرة الكبيرة التي تشبه ضفدعة فاغرة العينين، الرابخة في منتصف الطريق إلى قمة أوكنيو، هي، على ما تقول الأسطورة، تلك الأم الضفدعة بعدما تحولت إلى صخرة.

كاهن من السماء يجرد من إكليله

إذا توغلت مسافة أبعد في مسالك وادي أوكريودونغ الذي تسيل فيه جداول ترسل رذاذا أشبه باللآلئ، ستطالعك صخرة ضخمة على هيئة رجل حاسر الرأس يقعي على وركيه.

تقول الأسطورة بأن الصخرة هذه كانت، في الأصل، كاهنا من السماء. وقد تحول إلى صخرة عقابا له من شيخ وقور كان يعيش في جبل كومكانغ مكرسا نفسه للاعتناء بالأعشاب الطبية.

ذات يوم صيفي قائظ، هبط كاهن من السماء للتفرج على جبل كومكانغ.

نزل على قمة بيرو وأخذ يتطلع إلى قمم جبل كومكانغ العديدة المترامية على مد النظر. ومثلما قيل له تماما، وجد المنظر يجل عن كل وصف.

ثم كرج إلى الوادي بمحاذاة بركة كوريونغ.

ولما كان الوقت عز الظهيرة، فقد أخذ العرق يتصبب منه بغزارة تحت أشعة الشمس الحامية.

وفيما هو يمر بجانب بركة ريونزو، لم يعد الكاهن الآتي من السماء

قادرا على تحمل الحر أكثر من ذلك. فنزع إكليله عن رأسه، خلع ثيابه وغطس في البركة.

وفي الحال شعر بالانتعاش. ثم فقد كل إحساس بالوقت فيما هو يستحم، وتمتم لنفسه: (الآن فهمت لماذا تكثر الحوريات من النزول إلى البرك الثماني في جبل كومكانغ للاستحمام.)

"من يستحم هناك؟" صك هذا الصوت الزاعق أذنه فجأة من فوق رأسه.

مذعورا، غطس الكاهن بجسمه أكثر في مياه البركة والتفت إلى مصدر الصوت.

فرأى شيخا أشيب يحدجه بنظرات صارمة وقد اتخذ وقفة جليلة على صخرة مفلطحة تطل على البركة.

فتنفس الكاهن عندئذ الصعداء وسأله بنبرة عالية بعض الشيء:

"من تكون أيها الشيخ؟ ولماذا تزعق بي من غير أن تعرف من أنا؟"

"إنني أعيش هنا في جبل كومكانغ وأقوم على زراعة الأعشاب الطبية. المياه التي تسيل في وديان جبل كومكانغ تغسل جذور مختلف الأعشاب، لذا تجدها نافعة جدا للصحة ... ألا تعرف ذلك؟ والذين يزورون جبل كومكانغ إنما يذوقون هذه المياه قبل أي شيء آخر، أما أنت فتستحم فيها. ألا تعتقد أن ما تفعله شيء بغيض؟"

هكذا وبخ الشيخ الأشيب الكاهن من السماء وأشبعه تقريعا.

فتملك الكاهن ارتباك شديد.

"أظن أنني ارتكبت خطأ جسيما أيها الشيخ. الحقيقة أنني .... "

قال الكاهن ذلك للشيخ وطلب منه الصفح والغفران.

"إنك تستحم في أهم الجداول وأعظمها شأنا، ومتى؟ في رابعة النهار. تبا لك! إنك تستحق العقاب على فعلتك هذه."

تابع الشيخ يقرع الكاهن بلا هوادة وهو يضرب الصخرة التي يقف عليها بعصاه. ثم اختطف إكليل الكاهن ومشى مبتعدا، من غير أن يلتفت إلى الوراء.

مضطربا أشد الاضطراب، خرج الكاهن من البركة بسرعة ووضع عليه ثيابه.

إنما وقد فقد إكليله الآن، فلم يعد بمقدوره أن يعود إلى السماء، لأن الصعود إلى السماء غير متاح إلا بوجود الإكليل على الرأس.

فمضى ينادي على الشيخ في كل مكان من الوادي، ولكن على غير طائل.

(ماذا عساي أفعل الآن؟)

حاسر الرأس، اقتعد الكاهن على صخرة وأطلق تنهيدة أسى عميقة.

ثم سمع أصوات بشرية آتية من أسفل الوادي بمحاذاة بركة كوريونغ. كان ثمة أناس يصعدون منعرج الوادي إلى البرك الثماني.

وقد بلغت خشية الكاهن من أن يكتشفه الناس حدا جعله يبادر بالهروب والتواري.

أسرع واختبأ خلف صخرة هناك، مخافة أن يراه أحد.

وفي مخبئه راح يحدث نفسه: (تصوروا، لقد استحممت في المياه الصافية التي لا تجرأ حتى الطيور على الاغتسال بها!!)

وكان كلما ازداد تفكيرا بالأمر، تعاظم شعوره أكثر فأكثر بالذنب.

غربت الشمس خلف قمة بيرو وراحت تنعقد أستار الظلمة من حوله.

ثم بدأت النجوم تظهر الواحدة تلو الأخرى في قبة السماء.

(لا أستطيع الصعود إلى السماء من دون إكليلي، فما العمل؟ لا بد وإنني جننت حتى فعلت ما فعلت.)

هكذا أمضى الكاهن الليل بطوله يقرع نفسه ويضرب صدره بقبضتيه. لقد أورثه الأمر حزنا، والحزن لوعة، واللوعة فجيعة مع مرور الأيام.

سنوات طويلة ترادفت، والكاهن الحاسر الرأس على حاله لا يستطيع العودة إلى السماء دون إكليله ... إلى أن تحول في النهاية إلى صخرة تتخذ مكانها في منتصف الطريق الصاعد إلى قمة سيزون، على ما تقول الأسطورة.

في الأيام الغائمة والضبابية، تحجب الصخرة الغيوم والضباب؛

أما في أيام الصحو؛ فتنكشف صورة الكاهن للعيان وقد اكتست كل علائم الشعور بالإثم. وعندها، كما يقال، يدمدم الكاهن وحمرة الخجل تورد وجهه:

"لقد نالني عقاب على رعونتي بالغطس في مياه جبل كومكانغ الصافية وتنجيسها. الآن بت أعرف جيدا مبلغ تثمين أهالي كومكانغ واعزازهم حتى لجدول ماء صغير في غال مغمور. حقا إن قلوب الناس النبيلة في هذه الديار لتزيد جبل كومكانغ جمالا على جمال."

هاندول ودودول

في قديم، قديم الزمان، كان هناك صبيان أحدهما يدعى هاندول والآخر دودول، وكانا يعيشان في دسكرة صغيرة عند سفح قمة بيرو.

هاندول ودودول هذان شبا عن الطوق وترعرعا في كنف أميهما الأرملتين. إذ كان أبواهما قد خرجا إلى الحرب قبل عدة سنوات ولقيا مصرعهما في نفس الوقت تقريبا.

متشاطرين رزية اليتم، بقي هاندول ودودول قريبين جدا من بعض على الدوام، لكأنهما الأخوان التوأم.

فحين يحدث ويصدفان إجاصة برية تطفو نازلة مع الجدول فيما هما يلهوان على ضفته، كانا يسارعان إلى اقتسامها فيما بينهما؛ وحين يجمعان حفنة من البندق، كانا لا يأكلانها إلا سوية.

وذات يوم من أيام الربيع، وكانا قد ناهزا الثامنة عشرة من عمرهما، قدم إلى الدسكرة موظفو الحكومة بصحبة عساكر يعتمرون

قبعات من اللباد ويحملون هراوات على أكتافهم، حيث اقتادوا معهم هاندول ودودول لتأدية خدمتهما العسكرية كما قالوا.

"ألا يكفي أن أبويهما قتلا في ساحة المعركة وتأتون أنتم الآن لتأخذوا عنا ولدينا الوحيدين؟ خذونا نحن العجائز بدلا عنهما ... " هكذا راحت الأمان تتضرعان وتتوسلان إلى موظفي الحكومة وهما تتشبثان بأكمامهم في استماتة.

لكن موظفي الحكومة ساقوا هاندول ودودول أمامهم، غير عابئين البتة بتضرعاتهما وتوسلاتهما.

وإذ جندا قسرا في الخدمة العسكرية، بقي هاندول ودودول لا يغمض لهما جفن الليلة تلو الليلة، من فرط ما كان ينتابهما من قلق على أميهما العجوزين في مسقط رأسهما. كانا يحسان بقلبيهما يكادان ينهصران عندما يفكران فيهما؛ ومتى أكلا شيئا، كان يتراءى لهما إنهما إنما يعلكان ترابا.

وذات يوم، نزلت مصيبة على رأس هاندول. فقد سرقت بضع مئات من زكائب الأرز من عنبر المؤن العسكرية الذي كان يقوم على حراسته في الليل.

فكان أن أحيل هاندول على المحكمة العرفية وحكم عليه بالإعدام، وزج به في الزنزانة بانتظار تنفيذ الحكم.

وضغثا على إبالة، وصلت بعد أيام من حبس هاندول أخبار تفيد أن حالة أمه الصحية قد تدهورت كثيرا. وكان دودول أول من علم بالأمر. أما الضابط الآمر، فلم يكلف نفسه عناء توصيل الخبر إلى هاندول.

فقد مثل دودول بين يدي الآمر حيث أخبره بحالة أم هاندول المتدهورة، والتمس منه أن يسمح لهذا الأخير برؤية أمه مرة واحدة فقط قبل تنفيذ حكم الإعدام به.

"سيقطع رأسه في غضون خمسة أيام، فماذا تفيده رؤية أمه العليلة، قل لي؟"

بهذا رفض الآمر رفضا باتا التماس دودول؛ وهذا ما جعل قلب

الأخير يتفطر ألما. لقد كان الحكم بالإعدام على صديقه هاندول بتهمة زائفة أمرا فظيعا. وكأن ذلك لا يكفي، حتى ساءت حالة أمه الصحية إلى درجة الخطورة. هجست في رأس دودول هذه الخواطر، فإذا بالدنيا تظلم في عينيه ويلعن هذا العالم الجائر.

(ألا يوجد من سبيل لكي يرى أمه ولو مرة واحدة قبل أن يموت؟)

دودول مستغرق في تفكير عميق؛ قلبه مثقل بالهم لكأنه كتلة من الرصاص. وبعد تفكير وتفكير، قام وتوجه إلى الضابط الآمر مجددا وأخبره بأن لديه فكرة حبذا لو يسمعها منه.

"ضعني في الزنزانة مكان هاندول. وسأبقى فيها بينما يتوجه هو لرؤية أمه."

فوجئ الضابط الآمر باقتراحه هذا، إذ لم يبق على موعد تنفيذ الحكم بهاندول سوى خمسة أيام.

ورغم علمه بأنهما صديقان حميمان بصورة غير عادية، فلم يستطع إلا أن يتأثر وجدانيا باقتراح دودول أن يحتجزه بدلا من صديقه.

وبعد إطراقة قصيرة، سأله الضابط الآمر:

"لم يبق سوى خمسة أيام على موعد تنفيذ حكم الإعدام بهاندول. وإذا لم يعد في ذلك الموعد، فسوف تعدم بدلا عنه، موافق؟"

"موافق، وإلا لما كنت تجرأت وتقدمت منك بمثل هذا الطلب. بيد أنني على يقين من أن هاندول سيعود في ظرف خمسة أيام. وإذا لم يعد في حينه لسبب من الأسباب، لكم أن تعدموني بدلا عنه."

كان قد حزم أمره واتخذ قرارا لا رجوع عنه.

فكان أن وافق الضابط الآمر على طلبه.

وقبل مغادرته، راح هاندول يبكي ويبكي وهو يعانق دودول بحرارة، فيما الأخير على وشك أن يساق بدلا منه إلى الزنزانة.

فدمعت عيون العساكر الذين كانوا يتابعون هذا المشهد تأثرا.

يومان كاملان أمضاهما هاندول على الطريق للوصول إلى قريته.

وعند وصوله، توجه رأسا إلى منزل دودول لرؤية أم دودول أولا.
لكنه استغرب إذ وجد البيت خاويا.
فهرع من فوره إلى بيته، فوجد هناك أم دودول تقوم على أمور أمه المريضة.
"أماه!"
نادى على أمه بصوت تخنقه العبرات من المصطبة الترابية.
"أوه! هذا أنت يا هاندول؟"
وخرجت أم دودول مسرعة لاستقباله.
أما أمه، فكانت غير دارية بأن وحيدها الغالي قد عاد، وبقيت راقدة مسبلة الجفنين كالأموات.
"حسنا، وهل دودول أيضا بخير؟" سألته أم دودول وهي تربت على كتفيه النحيلتين.
"أجل، إنه بخير. ..."
وشعر هاندول بالذنب لأنه كذب عليها. فأشاح بوجهه بعيدا، وقد راوده إحساس بأن أم دودول تعرف كل شيء.
"لقد جئت في الوقت المناسب. كان يبدو أن أمك لن يطلع عليها النهار، ولكنها إذا رأتك لا شك في أنها ستتعافى."
قالت له ذلك وأجلسته بجانب فراش أمه. فهمس هاندول في أذن أمه:
"أمي! أنا هاندول يا أمي، أنا هنا!"
غير أن أمه لم تجبه، وبقيت عيناها مطبقتين تماما، فاقدة الرشد.
"أمي ... يا أمي!"
بقي هاندول يناديها هكذا ملهوفا ويهزها علها تستيقظ.
وفي صباح اليوم التالي، كانت أمه لا تزال غائبة عن الوعي. كانت جد مريضة، فلم يبرح هاندول مكانه بجانب فراشها لحظة واحدة.
بيد أن صورة دودول وهو يضنى بدلا منه في الزنزانة ظلت تتراءى له على نحو موصول.

(إني لأتساءل ما إذا كان هناك رجل آخر مثلك يا دودول مستعد للتضحية بحياته في سبيل صديقه؟ سأعود ... سأعود قريبا. فلتنتظر بعد قليلا يا دودول!)

وعض هاندول على شفتيه حتى نفر منهما الدم.

(أمي في حالة ميئوس منها، وليس في مقدوري أن أفعل شيئا. الآن وقد رأيتها، فلم أعد أتحسر على شيء. لا، لن أدع دودول يموت بدلا عني مطلقا ... مطلقا!)

بهذه الخاطرة التي هجست له، نهض هاندول من فوره واقفا. ثم دنا من والدة دودول، ركع أمامها وقال:

"أرجوك يا خالة أن تعتني بأمي. فعلي أن أذهب الآن."

"ويحي! ما بك؟ ماذا تعني بكلامك هذا؟ أ تترك أمك المريضة وهي في هذه الحالة الخطيرة؟"

وهبت أم دودول واقفة في غضب.

"افهميني يا خالة أرجوك. علي أن أذهب ... علي أن أذهب بسرعة."

غير قادر على إخبارها بالحقيقة كاملة، راح هاندول يبكي بحرقة وأحشاؤه تتقطع ألما.

"الانضباط العسكري ليس قاسيا إلى هذه الدرجة، أليس كذلك؟ لا، لن أدعك تذهب ..." صاحت أم دودول، وأمسكت بكمه تمنعه من الذهاب.

فناشدها هاندول متوسلا :

"أرجوك يا خالة دعيني أذهب. لا أستطيع الكلام الآن، سأخبرك بكل شيء فيما بعد ... دعيني."

هنا لانت أم دودول قليلا وقالت :

"ولم لا تخبرني الآن؟ على كل، إذا كنت لا تستطيع الكلام، فلن أصر. لا تقلق بشأن أمك وانتبه إلى نفسك ..." ولم تقو على متابعة الكلام فأجهشت بالبكاء.

ركع هاندول وانحنى انحناءة شديدة لأمه الغائبة عن الوعي قبل أن يغادر المنزل باكيا.

في تلك الأثناء، وفي صبيحة اليوم الخامس، كان هاندول عرضة للملامة والانتقاد في ثكنات العساكر. قال أحدهم:

"لا تعرف أبدا ماذا يجول في رؤوس الآخرين ...

تصوروا! إن هاندول لم يعد حتى الآن، تاركا أعز صديق لديه بين أشداق الموت!!"

"إنني لأشفق حقا على دودول. المسكين سيفقد حياته بسبب صديقه الغادر!"

وبكى الجنود، راثين لحال دودول الذي سيعدم مكان صديقه.

وأخيرا، حلت ساعة تنفيذ الإعدام بدودول. فساقه الضابط الآمر إلى ساحة الإعدام.

وسار دودول أمامه رابط الجأش لا ينبس بكلمة، ولا تظهر عليه أية إمارة تنم عن حقد أو ضغينة.

"أيه دودول!"

"يا للمسكين!"

العساكر ينادون عليه من كل جانب بأصوات تخنقها العبرات.

ودودول يعبر عن امتنانه لهم بغمزات من عينه.

أوقفه الآمر على شفا مهوار سحيق وسأله:

"هل تتأسف على شيء يا دودول؟ "

فأجابه دودول مرفوع الصدر:

"أبدا، قطعيا. إنني سعيد لأن هاندول رأى أمه. وليس عندي شك في أنه سيعود.

ما أترجاه منكم هو أن ترأفوا به عندما يعود."

"حسنا، إني موافق على طلبك."

وبعد أن هز الآمر رأسه علامة الموافقة، تراجع عدة خطوات إلى الوراء ورفع يده.

فسدد النبالة سهامهم إلى صدر دودول وأنبضوا أقواسهم عن آخرها بأيد مرتجفة.

وفي اللحظة التي أوشك فيها الآمر على إعطاء الأمر بالرمي، سمعت أصوات حوافر فرس آتية من الوادي تحتهم.

فالتفت الآمر ونظر في اتجاه مصدر الصوت.

فرأى فرسا بيضاء قادمة صوبهم، وهي تنهب الأرض نهبا بحوافرها وتثير خلفها زوبعة كثيفة من الغبار.

والرجل على صهوة الفرس يصيح بأعلى صوته كلاما غير مسموع ويلوح يده.

"أليس هذا هاندول؟"

"بلى، إنه هو."

بنفوس مستثارة، تابع العساكر الفرس البيضاء وهي تقترب منهم شيئا فشيئا.

وما عتمت أن بلغت الفرس حافة المهوار حيث يقف دودول.

"دودول!" صاح هاندول وهو يقفز من على ظهر الفرس، وهرع إليه وأخذه في الأحضان.

"ها قد عدت ... ارموني أنا بنبالكم أرجوكم!" هتف هاندول بالنبالة وهو يتنفس ببالغ الصعوبة.

فتقاطر الجنود عليه يحدقون فيه مذهولين.

ولكن دودول كان أكثرهم ذهولا.

إذ لم يتوقع قط أن يعود هاندول في غضون خمسة أيام.

لقد حسب أن هاندول سيغيب خمسين يوما، وليس خمسة أيام، ليطبب أمه المريضة ويعود.

وكان جل همه أن ينقذ هاندول من خلال التضحية بنفسه، وفاء منه لروح الصداقة الحقيقية.

"هاندول!"

"دودول!"

جعل الاثنان يناديان هكذا على بعض وهما يشهقان ويتنهنهان ويتعانقان عناقا لاهبا.

"هل رأيت أمك يا هاندول؟" سأله دودول دونما اصطبار.

"أجل، ورأيت أمك أيضا." أجاب هاندول ودموع التأثر تترقرق في عينيه.

فسأله دودول وهو يدق على صدر هاندول بقبضته ملتاعا:

"ولماذا عدت قبل أن تتماثل أمك الشفاء إذن؟"

"ما هذا الذي تقوله يا دودول؟ وما نفع نجاتي بعدما تكون أنت قد ضحيت بنفسك مكاني .. هيه؟"

وغص حلق هاندول وأقبل يشد دودول إلى صدره بكل ما أوتي من قوة.

"لا بد وأنك قاسيت كثيرا بسببي يا دودول. لقد فعلت المستحيل لكي أعود على جناح السرعة... "

بضمير معذب وبعينين تطرفان باستمرار من فرط الانفعال، قص هاندول على صاحبه القصة التالية:

فبعدما ودع هاندول أمه المريضة على نحو ما مر معنا، انطلق مسرعا في طريق العودة.

بينما هو يتسلق إحدى الروابي في عجلة من أمره، تعثر بحجر وأصيب كاحله بأذى.

تورم كاحله تورما شديدا بحيث لم يعد قادرا على السير خطوة واحدة.

فارتمى على الرابية يئن ويتوجع وهو يشد على كاحله المصاب بكلتا يديه.

"أواه يا صديقي دودول! ستلقى حتفك من أجلي يا دودول، فيا للهول يا دودول!!"

انفجر هاندول يبكي بكاء مرا ويضرب الأرض بقبضته اغتياظا.

فصادف أن كان تاجر خيول يمر في تلك اللحظة من هناك، فسمع

صياحه وهرع إليه. وبعدما استمع تاجر الخيول إلى قصته، قال له: "صداقتكما هذه قمينة بأن تثير حتى عاطفة السماء. فخذ هذه الفرس وعجل." وأعطاه فرسا بيضاء مطهمة.

هامزا الفرس بمهماز لا يكل، قطع هاندول المسافة المتبقية بلمح البصر.

حديث هاندول هذا انصت إليه الجنود محبوسي الأنفاس، وقد بلغ بهم الانفعال والتأثر أقصى مداه.

إن تصرف هاندول بالمجيء بقدميه إلى موت محقق لينقذ صديقه قد هز وجدانهم في الصميم؛ فما بالك بتصرف دودول الذي لم يتردد لحظة واحدة في اختيار الموت عوضا عن صديقه!

الضابط الآمر الذي كان واقفا على جنب رأى أمائر التأثر والانفعال على وجوه العساكر وبعد شيء من التفكير التفت إلى هاندول وقال:

"إذن، ستعدم الآن يا هاندول، فتعال إلى قدام هيا!"

قالها وابتسامة ساخرة مرتسمة على فمه.

"عجبا! إنه عازم على قتل هاندول فعلا!"

"يا له من رجل زنيم متحجر القلب!!"

العساكر يتململون، لا بل إن بعضهم راح يرتجف من فرط السخط والنقمة.

في تلك اللحظة، تقدم جندي مسن وصاح بصوت عال: "سأخبركم بكل شيء يا إخواني! إنه الضابط الآمر من سرق المؤن من العنبر."

"ماذا؟!"

انصعق العساكر لهذا الإعلان غير المنتظر.

"كفى هراء أيها النذل!" صاح الآمر بالجندي وهو يحملق فيه كما لو كان مستعدا لابتلاعه. فقال الجندي باكيا وهو يقرع صدره بقبضته:

"كنت في دورية حراسة في تلك الليلة، وقد شاهدته بأم عيني وهو يسرق المؤن من العنبر بالتواطؤ مع اللصوص. كنت غبيا، فتظاهرت

بأنني لم أر شيئا خوفا من أذاه وبطشه. أنا من يستأهل العقاب، فاقتلوني عوضا عن هاندول!"

هنا صرخ أحد العساكر، مشرعا رمحه:

"الرجل الذي سيعدم هنا ليس هاندول أو دودول، بل هذا الآمر اللعين!"

"أحسنت! أحسنت!"

وكرجل واحد، رفع العساكر رماحهم عاليا وأحاطوا بالضابط الآمر إحاطة السوار بالمعصم. وبنفوس مترعة بالسخط، أجهزوا عليه في طرفة عين.

وبعد ذلك عاد الصديقان هاندول ودودول إلى قريتهما حيث سهرا على علاج أم هاندول من مرضها. وعاشا منذ ذلك الحين في هناء وسعادة، يوليان أميهما موصول التعهد والرعاية بتفان ما بعده تفان.

صخرة الأرنبة البرية

إذا نظرت عاليا إلى منتصف العرقوب المتعرج إلى قمة سيزون، سترى هناك صخرة على هيئة أرنبة برية ضخمة تقع على كفلها.

تقول الأسطورة المنسوجة حولها إنها أرنبة برية كانت في يوم من الأيام تعيش في أعالي السماوات.

فما الذي جاء بها من هناك وحوّلها إلى صخرة في جبل كومكانغ؟

إليكم الحكاية:

ذات نهار ربيعي دافئ، كانت الأرنبة البرية جالسة على حجر في السماء تدق الأرز لحفل عيد ميلاد ملك السماء.

وفيما هي تدق الأرز منشرحة الصدر، أقبلت عليها حورية بقرعة صغيرة طافحة بالمياه حتى الشفة. كانت هي الحورية الحسناء أوكدول التي عادت لتوها بعد أن رستقت نفسها في جبل كومكانغ.

"اشربي من هذا الماء وتبردي أيتها الأرنبة الطيبة،" وناولتها الحورية القرعة لتشرب.

فشكرتها الأرنبة على لفتتها الكريمة هذه. ابتسمت لها وكرعت

الماء غبة واحدة.

"ياه، لكم هو لذيذ! من أين لك هذا الماء؟" استفسرت الأرنبة وهي تتلمظ بعد بشفتيها.

"هذا الماء من جبل كومكانغ."

" ماذا؟ جبل كومكانغ؟"

" نعم،" هزت الحورية رأسها تأكيدا.

ثم أخذت بإطراء مفاتن جبل كومكانغ. وبدا كما لو أن إشادتها بجبل كومكانغ، بالجداول والصخور، بالأزهار والسحب هناك لا حد لها.

واضعة قائمتيها الأماميتين في صدرها، وناظرة إلى الحورية أوكدول في حسد، هتفت الأرنبة:

"ياه، لكم أود أن أذهب وأرى جبل كومكانغ!"

وبعد ما أخبرتها الحورية بذلك، لم تعد الأرنبة تلقي بالا إلى دق الأرز.

لقد شعرت بأنها لن تقدر أبدا على معاودة دق الأرز إن هي لم تنزل وتر جبل كومكانغ.

الأرنبة العجولة بطبعها توجهت في الحال ومثلت بين يدي ملك السماء.

"يا جلالة الملك، لقد سمعت عن جبل كومكانغ الأشهر على الأرض. ويكفي أن أراه مرة واحدة ليتحقق رجاء عمري.

فأرجوكم أن تسمحوا لي بالنزول والتفرج على جبل كومكانغ ليوم واحد فقط."

فلم يجبها ملك السماء إلى طلبها في الحال، بل سألها:

"وإذا ذهبت، فمن ذا الذي سيدق الأرز؟"

"سأسهر اثنتي عشرة ليلة لكي أنهيه،" أجابت الأرنبة بنبرة تضرع حرى.

وكان التلهف صارخا في تضرعها حتى أن ملك السماء لم يعد قادرا على رفض طلبها بعد الآن.

"اذهبي إذا كانت هذه هي رغبتك. ولكن عليك أن تعودي قبل مغيب الشمس، مفهوم؟"

"سمعا وطاعة يا مولاي."

وانحنت الأرنبة للملك انحناءة إجلال واحترام.

ثم أسرعت واستعارت سلما قزحيا من الحورية أوكدول، وهبطت في الحال إلى جبل كومكانغ.

أسندت الأرنبة السلم إلى الجبل الصخري البيضوي عند مدخل كومكانغ الخارجي وتسلقته إلى قمة سيزون، من حيث يمكن استشراف قمم جبل كومكانغ التي لا حصر لها من عل.

فامتلأت نفس الأرنبة مهابة وإعجابا بالمنظر الفاتن المرتسم أمام ناظريها.

صخرة تشونهوا الناهدة إلى العلياء في أمامية تلك اللوحة الطبيعية الساحرة تذكرها بزهرة في أوج تفتحها تريد أن تطال السماء؛ وشلالات وادي أوكريو أشبه ما تكون بلفيفات رسم من الحرير المعرق؛ وشلالا بيبونغ وموبونغ المهيبان وتحتهما برك الماء المصقولة كالمرايا تقدم منظرا أخاذا ولا أروع.

فإذا بصيحات الإعجاب تتلاحق من بين شفتي الأرنبة المبهورة.

وقفت الأرنبة، مسحورة بتلك المناظر التي تخلب الألباب؛ تنظر إلى تحت وادي بركة كوريونغ، وهي غافلة تماما عن مرور الوقت.

وقبل أن تدري، كانت الشمس قد غربت خلف قمة بيرو وبدأ الليل يرخي سدوله على عجل.

عندئذ فقط انتبهت الأرنبة إلى نفسها مطربة الأذنين. فأسرعت عائدة إلى الجبل الصخري البيضوي حيث أسندت السلم القزحي.

ولكنها لم تجد السلم أو أي أثر له.

فتملكها اضطراب شديد، فوقفت هناك فاغرة العينين وقد أخذت منها الحيرة كل مأخذ.

في تلك اللحظة تناهى إلى سمعها صوت ملك السماء يجلجل راعدا فوق رأسها:

"يا لعينة! إنك والسلحفاة في قصر الملك التنين مثال الكسل والتنبلة. لا أستطيع أن أئتمنك حتى على دق الأرز لصنع الكعك لحفل عيد ميلادي. فليكن بمعلومك أنك لن تعودي إلى السماء أبدا!"

وبعدما صرخ في الأرنبة عدة صرخات، تناول جمرة. فإذا بقصف الرعد يجلجل داويا بدت معه السماء وكأنها تتشقق، ثم بكرة نارية تنزل كالنيزك وتصيب الأرنبة في ظهرها.

فصرخت من هولها، ثم تداعت وسقطت مغشيا عليها.

عندما استعادت الأرنبة وعيها بعد وقت قصير، أحست بألم شديد في ظهرها. فنظرت من فوق كتفها وزعقت زعقة رعب مستطير؛ فقد وجدت ظهرها قد تحول إلى شيء متيبس يشبه ترس السلحفاة.

كان ذلك عقابا أنزله بها ملك السماء الغاضب.

"النجدة! النجدة!"

أخذت الأرنبة تنادي على أحد يغيثها، وهي تقرع صدرها وتفحص الأرض بقائمتيها الخلفيتين، ونفسها مترعة بالمرارة.

اغرورقت عيناها بالدموع، وبقيت تصرخ وتصرخ طوال الليل، تكيل الشتائم لملك السماء الظالم.

وفي صباح الغد، طلعت الشمس ككرة نارية من وراء الأفق، مرسلة أشعتها الذهبية في كل اتجاه. وهنا بدأت قمم جبل كومكانغ الاثنا عشر ألفا تتوهج في الشمس كعمدان من نار.

" مرحى! مرحى!" هتفت الأرنبة إعجابا بالرغم منها.

فقد بدد منظر جبل كومكانغ الساحر رغاوة الحزن والأسى في نفسها.

فتهادت الأرنبة صاعدة إلى منتصف العرقوب إلى قمة سيزون حيث كانت بالأمس.

ومن هناك نظرت بافتتان إلى وادي بركة كوريونغ، وإذا بصدرها ينشرح شيئا فشيئا.

"ها، ها!" شخرت الأرنبة في تهكم على السماء. لئن كان ملك

السماء عاقبها بأن مسخ لها ظهرها إلى شيء أشبه بترس سلحفاة متشقق، إلا أنها شعرت بالبهجة لما خطر لها أنها ستبقى هنا، في جبل كومكانغ الجميل، وقالت في سرها:

(ما أنزله بي ملك السماء كان في الواقع ثوابا وليس عقابا.) وانفرجت أساريها وشعرت بسعادة غامرة.

ومنذ ذلك الحين، عاشت الأرنبة في ربوع جبل كومكانغ تملى ناظريها بجماله وسحره كما تشتهي وتحب.

وتوالت السنون، والسلحفاة على تلك الحال. ومع الوقت، تحجرت الأرنبة ذات الترس السلحفاتي وتحولت آخر الأمر إلى صخرة.

والأرنبة التي تحولت إلى صخرة تربض، دأبها دائما، عند منتصف العرقوب إلى قمة سيزون، مستمتعة بمنظر من عل لقمم جبل كومكانغ التي لا تعد ولا تحصى.

هانبونغ وبودوك

عندما تلج وادي مانبوك، تلك البقعة التي لا يضارع جمالها جمال في كومكانغ الداخلي، وتصعد اللصب الشديد الانحدار، مارا ببرك هوكريونغ وبيبا وبيوكها، وصولا إلى بركة بونسول، ستجد نصب عينيك معبدا صغيرا من ثلاث طبقات يدعى معبد بودوك مستكنا عند منتصف الطريق إلى قمة بوبغي. الجدار الخلفي للطبقة الأرضية من المعبد هو نفسه وجه الجرف الصخري، وفي وسط هذه الصخرة يوجد كهف.

هذا الكهف الكبير يسمى بكهف بودوك، وثمة أسطورة حوله ظل الرواة يتناقلونها جيلا بعد جيل.

يحكى أنه كان في غابر الأزمان وسالف العصر والأوان فتى يدعى هانبونغ مضى عليه زهاء ثلاثة أعوام منعزلا في جوف واد عميق في جبل كومكانغ يقرأ الكتب ويطالع الأسفار لكي يصير عالما كبيرا في يوم من الأيام.

في كوخ صغير مسقوف بالقش بناه وسط ألفاف الأجمة، انكب

هانبونغ قلبا وقالبا على القراءة والدرس؛ الأطيار والوحوش بمثابة جيرانه، والريح والقمر في منزلة أصحابه.

ذات يوم، والوقت قد قارب الظهيرة، كان مستغرقا كعادته في القراءة داخل كوخه، وفي ركن الحجرة كدسة مكدسة من الكتب سلمته إياها أمه حين غادر متوجها إلى جبل كومكانغ. نظر إليها وقال متأملا: (أمرتني أمي أن أكرس نفسي للدرس طيلة عشر سنوات، من دون أن ألقي بالا إلى الأمور الدنيوية. فمتى عساي أنهي قراءة كل هذه الكتب؟)

كان قد بدأ يشعر منذ بعض الوقت بالسأم والملل من الدراسة. فتمطى وتثاءب ثم أطبق الكتاب الذي بين يديه وخرج إلى الباحة، مضى إلى شجرة الزلقوة الباسقة عند طرف الباحة. جلس مستندا إلى جذعها ونظر عاليا إلى سحابة بيضاء كالقطن المندوف تمخر عباب السماء. فتنهد من الأعماق وقال مخاطبا نفسه: (الا ما أسعد تلك السحابة! أبدا لن تشعر بالغم شأني أنا.)

وفيما كانت تلك الخاطرة تهجس في رأسه، إذا به يسمع سقسقة فوق رأسه. رفع ناظريه فرأى زيز حصاد يصر "مم، مم" على غصن شجرة، وجناحاه لا يتوقفان عن الاهتزاز. فقال في سريرته بشيء من الحسد:

(ذلكم الزيز، إنه مغن بارع إلى هذه الدرجة مع أنه لم يدرس قط في حياته.)

كان يريد أن يتخلى عن دراسته في التو واللحظة ويعود إلى أمه الحبيبة. فلقد قرأ بالفعل عددا لا يستهان به من الكتب، وأضحى ندا لأي شيء كما يرى.

فقام على عقبيه ومضى يتسكع في وادي مانبوك. وفيما هو يكرج على صبب شديد الانحدار، ظهرت أمامه فتاة حسناء على حين غرة. كانت تحمل باقة من الزهور في يدها ورآها تتجه رأسا نحوه وتبتسم وتقول:

"ألست هانبونغ؟ اسمي بودوك."

تناولت زهرة وشكلتها على صدره والابتسامة العذبة لا تفارق شفتيها.

"بودوك؟" كررها الفتى من وراءها. ومن غير أن يدري ماذا يفعل، أخذ الفتاة من يدها. فتراجعت الصبية جافلة إلى الوراء وقد تضرجت وجنتاها بحمرة قانية. دارت على عقبيها وهربت من أمامه على عجل.

ركض هانبونغ خلف الفتاة وهو ينادي على اسمها "بودوك! بودوك!"

ومع أنه ركض بأسرع ما يستطيع الركض، إلا أن ساقيه خذلتاه. حاول اللحاق بالفتاة على أي حال، لكنها اختفت عن الأنظار بغتة.

"يا إلهي!" صاح هانبونغ متعجبا وأخذ ينظر حوله جاحظ العينين. ثم رأى بعد ذلك منديلا أبيض يتدلى من غصن شجرة عند الجدول. فاقترب منه على السكت. ولما صار عنده، لمح الفتاة تغسل وجهها في بريكة طافحة بالماء.

هنا اشتد الوجيب في قلب هانبونغ.

" بودوك! ها أنذا!" صاح فرحا وجرى صوبها.

فجفلت الفتاة وحملقت فيه مبهوتة للحظات. ومن غير أن تنبس ببنت شفة، خطفت المنديل الأبيض عن الغصن وولت الأدبار نحو أعالي الوادي.

"بودوك! بودوك!" جعل هانبونغ يناديها هكذا بلا انقطاع وهو يعدو في أثرها. لكن الفتاة ما لبثت أن صارت أثرا بعد عين حالما دارت حول عطفة هناك. فتملك الفتى اضطراب شديد لاختفاء الفتاة مجددا من أبصاره. ودار يبحث عنها هنا وهناك، وإذا بعينيه تومضان فرحا. فقد لمح منديل الفتاة الأبيض من بعيد يرفرف مع النسيم عند منتصف الدرب الصاعد إلى قمة بوبغي. وكانت الفتاة

هناك؛ كانت واقفة تنظر إليه والمنديل المرفرف في يدها. ثم تراجعت بسرعة ودخلت كهفا في الجرف.

وبقلب يخفق بشدة، مضى هانبونغ يتسلق الجرف شبرا فشبرا، وهو يتمسك بكعوب الشجيرات الطالعة من فلوع الصخر، إلى أن بلغ أخيرا مدخل الكهف. دلف إليه وراح يبحث في كل زاوية وركن من الكهف المظلم، إلا أنه لم يعثر عليها في أي مكان. لم يتمكن من العثور على مخبئها، وكل ما رآه كان مجرد منضدة صخرية كبيرة في إحدى الزوايا.

فأخذ هانبونغ يحملق في المنضدة العجيبة محبوس الأنفاس. في تلك اللحظة، ظهرت الفتاة من ركن في الطرف الآخر للكهف وهي تحمل كتابا ضخما مذهبا في يديها وقالت له: "لقد استدرجتك إلى هنا لأعطيك هذا الكتاب يا هانبونغ." وناولته الكتاب المذهب. فتناوله هانبونغ منها. كان كتابا نقشت على جلدة غلافه بأحرف براقة عبارة "كيف تفهم كل شيء".

(يا للروعة! إن قراءة هذا الكتاب وحده ستوفر علي عناء قراءة كل الكتب التي أعطتني إياها أمي!) هتف الفتى في هيجة مستثارة وشد الكتاب إلى صدره.

ثم فتحه ونظر فيه، فرأى صفحاته محشورة حشرا بالكلمات المنمنمة. إنما لم يكن قادرا على فهم حرف واحد منها. فتبادر عندئذ إلى خلده أن الفتاة ربما كانت تضحك عليه، فعاجلها بالسؤال: "ومن أنت، بحق السماء؟!" فأجابته الفتاة مبتسمة:

"أنا مثلك، جئت أدرس في جبل كومكانغ."

"أ حقا؟ ولماذا أعطيتني إذن هذا الكتاب المذهب المليء بالكلمات المحيرة؟" سألها هانبونغ في غضب.

"كنت أصعد كل يوم إلى كوخك وأراقبك وأنت تدرس. إنما بدا أنك أصبحت كسولا في المدة الأخيرة ولا أعرف ما السبب."

أجابته بذلك ثم أشارت إلى أكداس الكتب الموضوعة على

المنضدة الحجرية، ومضت إلى القول:

"لقد قرأت كل هذه الكتب ربما للمرة المائة أو أكثر، وها أنا الآن أعرف معنى جميع الكلمات الواردة في الكتاب المذهب."

كان صوت الفتاة مفعما باللطف والحنان تجاه الفتى. فاحمر وجه هانبونغ خجلا؛ وانتابه شعور واخز بالخزي لأنه مل الدراسة وترك الشواق إلى البيت يتغلب عليه ولو لمدة قصيرة.

أمسك بيدي بودوك وقال لها:

"أنت على حق. لن أحن إلى بيتي ثانية إلى أن أتم قراءة كل الكتب التي سلمتني إياها أمي."

وما إن أعطى وعده هذا حتى انطلق عائدا إلى كوخه وفتح كتابا. ومنذ ذلك اليوم، لم يرفع رأسه عن الكتاب، مستغرقا في القراءة جملة في إثر جملة. وبعد عشر سنوات كان قد قرأ كافة الكتب وصار عالما محترما يجله ويغبطه الجميع.

ولم ينس هانبونغ قط الفتاة التي نبهته إلى غلطته وأعادته إلى الطريق المستقيم. فسمى الكهف الذي كانت تدرس فيه بكهف بودوك على اسمها، وبنى عند الكهف فيما بعد معبد بودوك تخليدا لذكراها.

صخرة زانغسو

في زمن من الأزمان، كانت هناك دسكرة صغيرة تكنكن عند منتصف العرقوب الصاعد إلى قمة مانمولسانغ، قمة العشرة آلاف هيئة بجبل كومكانغ، وكانت تدعى قرية المرنطة لأن عرائش المرنطة تنمو فيها بكثرة.

وكان فتيان تلك الدسكرة يشبون أشداء كالثيران ورشقاء كالنمور بمجرد بلوغهم الخامسة عشرة من عمرهم لأنهم كانوا يشربون مياه الينابيع المعدنية الصافية كالبلور هناك.

وأشد هؤلاء الفتيان فتى صنديد يدعى أوكساي؛ كان عندما يسدد الرمح أو يطلق النبال، قافزا من تلة إلى تلة، حتى الصخور ما كانت تقوى على الوقوف في وجهه.

كذلك كان سريعا رشيقا كالبرق؛ فكان بمقدوره أن يمسك بنمر كومكانغ حيا ويروضه في فناء داره من دون أن يحبسه في قفص.

وأوكساي كان مغنيا موهوبا أيضا.

فحين كان يطلق صوته في أثناء فلاحة الحقول وبذر البذور برفقة شباب القرية في الربيع، كانت حتى قمم جبل كومكانغ الاثنا عشر ألفا تبدو وكأنها ترقص على أنغام صوته الجميل.

ذات صيف، وصلتهم أخبار عن نزول عصابة من القراصنة اليابانيين على جزيرة آل في البحر قبالة قريتهم، وأن القراصنة الملاعين يتحينون الفرصة فيما هم يجمعون عشرات الآلاف من بيض طيور النورس على تلك الجزيرة للتسلل إلى جبل كومكانغ.

"يجب ألا نسمح لليابانيين بأن يضعوا أقدامهم على أرضنا.

ولما كانت جزيرة آل، هي الأخرى، جزءا من أرض بلادنا، فينبغي لنا أن نقطع البحر إليها ونبيد الأعداء اليابانيين عن بكرة أبيهم!" دمدم أوكساي بذلك وهو يكور قبضتيه من شدة الغضب.

فنزل إلى شاطئ البحر، رمحه في يده وقوسه وكنانة نباله يتدليان من كتفه.

وعند حلول الغسق، غادر المرفأ على متن زورق لا أشرعة له حتى لا يكتشفه الأعداء.

البحر الساكن من حوله كان أشبه بقطعة حرير ملساء، لكنه أخذ يرتفع ويتلاطم كلما دنا بقاربه من الجزيرة.

فتابع تجذيفه بالقارب صوب جزيرة آل. إنما، من سوء حظه، انبلج الفجر قبل أن يتمكن من بلوغ الجزيرة.

فكان أن لمح اليابانيون قارب أوكساي، فخرجوا عليه بزوارقهم خروج المسعورين وأطبقوا عليه من كل الجهات.

صرخ فيهم أوكساي "أيها الأوغاد!" وعيناه تقدحان شررا.

وكالنمر الطائر، قفز إلى زورق ياباني كان وصل إليه واصطدم بقاربه.

وشرع رمحه ودفع به اليابانيين الذين كانوا يقفون على جانب الزورق، مطيحا بهم إلى اليم.

ومن ثم قفز إلى زورق آخر.

إنما لم يستعمل رمحه هذه المرة، بل جعل يقبض على الأعداء من قذالهم ويرميهم الواحد تلو الآخر في الماء. فعل ذلك بسرعة خاطفة حتى إنه بدا كما لو كان يقتلع الفجل من حقل ويرميه جزافا.

وملأت جثث القتلى اليابانيين البحر على اتساعه.

"عليكم اللعنة! ماذا تفعلون عندكم؟ تحركوا!" صاح قائد الأعداء من مقدمة زورقه.

لكن أيا من رجاله لم يجرؤ على مهاجمة أوكساي، لفرط الهلع الذي أصابهم من ضراوته المشابهة لضراوة النمور.

ومن دون أن يتوقف لحظة لالتقاط أنفاسه، جذف أوكساي بقاربه نحو زورق قائد الأعداء مباشرة.

في تلك اللحظة، انطلق سهم واخترق كتف أوكساي. كان سهما أطلقه قائد الأعداء نفسه.

" آخ!" صرخ أوكساي صرخة ألم، ثم أمسك بالسهم الذي اخترق كتفه.

فإذا بالدم يتدفق من بين أصابعه ويسيل على ياقة سترته ويحول أرض القارب إلى بقعة حمراء قانية.

وبكل ما في ساعده من عزم، سدد أوكساي رمحه نحو صدر قائد الأعداء ورماه.

لكن هذا الأخير التقط الرمح المارق بيده وكسره إربا إربا كأنه غصن يابس.

لقد كان قائد الأعداء هو الآخر من الجبابرة رجلا يتمتع بقوة هائلة وبأس شديد.

هب أوكساي وقفز إلى زورق قائد الأعداء بلمح البصر.

وبعدما أطاح بالعساكر الذين اعترضوا سبيله، مضى يتقدم خطوة فخطوة، مطبقا على قائد الأعداء.

ودار قتال طاحن، قتال رجل لرجل ما بين الجبارين.

وتقاتلا وقتا طويلا، وكل يريد أن يغلب خصمه ويقضي عليه.

ولكثرة ما نزفت دماؤه، وهنت قوى أوكساي واستطاع قائد الأعداء أن يجند له في النهاية.

أمسك قائد الأعداء بخناق أوكساي وضغط بكل قواه، محاولا خنقه.

في تلك الأثناء، كان الزورق ينجرف بعيدا بفعل الأمواج إلى عرض البحر.

رمق أوكساي بعينيه الجاحظتين وجه قائد الأعداء الدميم الرابخ فوقه ثم نتع نفسه نتعة مفاجئة وهو يطلق صيحة مهولة، مستجمعا كل قواه التي وهبته إياها مياه جبل كومكانغ المعدنية المقوية. وفي اللحظة التالية، كان أوكساي يرفع قائد الأعداء عاليا ويطوح به إلى عباب اليم.

وتهاوى أوكساي، خائر القوى، على سطح الزورق، فيما الزورق ينجرف وينجرف على غير هدى تحت رحمة الأمواج العاتية.

وبغتة، ظهر في السماء فوق الزورق سرب كبير من طيور النورس من مألفها في جزيرة آل.

فو! فو! فو!

فهبت ريح من اصطفاق أجنحة النوارس، وإذا بالزورق يدور ويغير اتجاهه.

وفي وقت لاحق، عندما استعاد أوكساي وعيه، وجد نفسه في الزورق راسيا على رمال الشاطئ.

وسمع زقزقة النوارس تحوم فوقه.

كانت الطيور جد ممتنة لأوكساي لأنه أنقذ أعشاشها من القراصنة، حتى إنها راحت تذرف دموع العرفان وهي تحلق على علو منخفض فوق رأسه.

أما أوكساي، فبعدما طهر الجزيرة من الأعداء، عاد إلى قريته مكللا بأكاليل الظفر.

فاستقبله القرويون بالتهليل والتعييش كرجل صنديد من قرية المرنطة يتمتع بقوة خارقة، وأقاموا على شرف عودته المظفرة

عيدا مشهودا دام ثلاثة أيام بلياليها.

ولئن كان جبار قرية المرنطة نائما الآن في جلسته المنتصبة عند كعب صخرة ريوكهوا، إلا أنه على ما يقال سيستفيق من نومه ويستل من جديد رمحه وقوسه ونشابه التي كان يستعملها فيما مضى ويدحر الأعداء من آخرهم إذا ما تجاسروا وانقضوا علينا.

كستنايات "نودو"

في واد بجبل كومكانغ، كان يعيش زوجان سعيدان تظللها الألفة ويخيم عليهما التفاهم.

إنما لسنوات عديدة بعد زواجهما، ظل الزوجان بلا إنجاب؛ وليس إلا بعد أن ذرفا كثيرا على الأربعين أن ولد لهما صبي.

فكانت فرحتهما به لا حد لها. وأطلقا على الوليد اسم "موروك"، أي ليكبر بسرعة ويشب قويا.

وذات يوم، حين كان موروك يخطو بعد خطواته الأولى، إذا بنمر ضخم بحجم الثور يقتحم فناء البيت.

لما رأى الزوجان النمر، علاهما شحوب شديد وارتعدت فرائصهما فرقا.

لكن النمر خاطبهما، لدهشتهما، بصوت بشري أجش:

"قدمت إليكم من الوادي أسفل قمة بيرو. فلا تخافوا ولا ترتعبوا، إذ جئت أطلب منكم خدمة ليس إلا." ثم جلس على المصطبة الترابية ودخن بعض التبغ.

وبعد ما دخن ملء سلة من التبغ، أخرج من جعبته مائة حبة من

ثمار الكستناء، كل منها بحجم القبضة، وقال لهما:

"أرجوكما أن تزرعا هذه الكستنايات المائة وتنبتوا مائة شجرة كستناء. وبعد مرور عشر سنوات، سأعود إليكما ثانية لأرى ماذا فعلتما." ومضى النمر بتثاقل خارجا من الفناء. لكنه ما لبث أن استدار، تردد قليلا، ثم قال:

"أما إذا قلت الكستنايات عن المائة، فسأجد نفسي مضطرا، بكل أسف، إلى أخذ ابنكما منكما."

وهنا حكى لهما النمر أنه كان فيما مضى يعيش في مملكة السماء، ولكن الملك الأعظم قاصصه بأن مسخه نمرا وطرده إلى الأرض. وليس إلا إذا عاد إلى مملكة السماء ومعه مائة شجرة كستناء بعد مضي عشر سنوات، تقبل توبته ويصفح عنه.

أما إذا قل عدد الكستنايات عن المائة، حتى ولو بشجرة واحدة، فسيجد نفسه مضطرا إلى انتزاع الصبي منهما وأخذه إلى الملك الأعظم بدلا عنها.

صعق والدا موروك حين سمعا ما سمعا من النمر. وأظلمت الدنيا في عيونهما، كما لو أن ابنهما سيؤخذ منهما في التو واللحظة إلى مملكة السماء.

هنا توسل والدا الصبي إلى النمر بصوت مرتعش:

"سنعمل على إنبات مائة كستناية أيها النمر. فلا تمس ولدنا موروك بسوء رجاء..."

فأجابهما النمر: "سأكون في منتهى السرور إن أنتما فعلتما ما تقولان" ثم انحنى لهما انحناءة شديدة ورحل.

وبعد رحيل النمر، قام والدا موروك بزرع حبات الكستناء المائة في مسكب في فناء البيت بأقصى قدر من العناية والحرص.

وفي ربيع العام التالي، بدأت براعم الكستناء الخضراء تشطأ من الأرض.

عد الزوجان البراعم الطالعة بدقة فائقة، فإذا بهما يصدمان. فقد

كان هناك تسعة وتسعون برعما فقط.

نبشا عند موضع حبة الكستناء التي لم تشطأ.

فلم يجدا سوى قشرة فارغة؛ لعل جرذا التهم لبها على الأرجح.

"رحمتك أيتها السماء! ما العمل الآن؟" هكذا طفق والدا موروك يتأوهان تأوها عميقا وهما مقعيان على الأرض في حيرة تامة من أمرهما.

وبعد قليل، التفت الرجل إلى زوجته وقال:

"ليس هناك من شيء نعمله. دعينا نربي الكستنايات التسع والتسعين، لعلنا نعثر في هذه الأثناء على مخرج من هذه الورطة."

ولم يعد الرجل قادرا على الجلوس والنواح، فقام وغرس نصبات الأشجار التسع والتسعين بكل عناية على الرابية خلف البيت.

وجعل الزوجان يتعهدان أشجار الكستناء بأقصى قدر من العناية، فلا يدعان حتى عشبة ضارة واحدة تنمو حولها، وكانا يأتيان بالماء ويسقيان كل واحدة منها ملء جرة يوميا.

فنمت أشجار الكستناء بسرعة، وتفرعت أغصانها أبكر من المعتاد، كما لو أنها أرادت أن تكافئهما على عنايتهما الفائقة بها.

وبعد عدة سنوات صارت جذوع الكستنايات التسع والتسعين أغلظ من ذراع الرجل، وتكاثفت أوراقها حتى باتت تحجب السماء.

ومع ذلك، لم يكن والدا موروك يشعران بالرضا بتاتا.

فكانا كلما تذكرا الشجرة الناقصة يحسان بقلبيهما يتفطران ألما. فبحثا في كل وديان جبل كومكانغ، السحيقة منها وغير السحيقة، عن شجرة كستناء. ولكن جهودهما كلها ذهبت أدراج الرياح إذ لم يعثرا فيها حتى على كستناية واحدة.

وفي اليوم السابق لليوم الذي ستنتهي فيه مدة العشر سنوات التي حددها النمر، عاود الزوجان البحث مجددا عن شجرة كستناء، قاطعين في سعيهم هذا جبالا وعرة المسالك ووديانا شديدة الانحدار.

كانا قد بحثا النهار بطوله حتى أدمت الشجيرات الشائكة وجهيهما،

إنما من دون أن يعثرا على شجرة كستناء واحدة.

كانت الشمس الآيلة إلى الغروب تضرج صوح الجبل الغربي بوهج الأصيل الناري.

فجلس الزوجان المتعبان بتثاقل على صخرة مفلطحة وشرعا بالنحيب:

"يا ويلنا، غدا سيذهب النمر بولدنا الغالي موروك!"

بكيا بحرقة حتى علا لبكائهما نشيج قوي وهما لا يفتئان يضربان الصخرة بقبضاتهما. وإذا بهما يسمعان في تلك اللحظة بالذات صوتا يقول: "أنا كستناية!" وكان الصوت آتيا من قدامهما.

نظر الزوجان المذهولان في اتجاه مصدر الصوت الغريب، فشاهدا شجرة في الأجمة تتمايل وتصيح دونما انقطاع: "أنا كستناية! أنا كستناية!"

عرك والدا موروك عيونهما وحدقا في الشجرة ثانية.

وإذا بهما يطلقان صيحة فرح؛ فثمة شجرة تشبه الكستناية تلوح لهما بأغصانها. ومن فرط ابتهاجهما، هرع الاثنان نحوها وهما يصيحان: "نودو بامناموداا!"

(وأنت أيضا كستناية!)

وراحا يعانقان جذع الشجرة ويرقصان فرحين حولها.

"لقد أنقذت وحيدنا موروك!"

"الشكر لك! الشكر لك!"

وبقى الزوجان على هذا المنوال يعانقان الشجرة عناقا حارا ودموع الفرحة تنهل من مأقيهما.

وفي باكورة اليوم التالي، حضر النمر إلى منزل موروك حسب الموعد.

فبادره والدا الصبي وهما يرمقانه بنظرات ملؤها القلق واللهفة:

"أيها النمر، أيها النمر! لقد زرعنا الكستنايات المائة كلها. هناك تسع وتسعون كستناية على الرابية خلفنا، وواحدة في الجبل الذي أمامنا

ما وراء تلك الأكمات الثلاث التي تراها هناك. فلن نخالك ستأخذ وحيدنا موروك إلى مملكة السماء، أليس كذلك أيها النمر؟"

فأجابهما النمر جاثيا أمامهما: "حقا، لقد تجشمتما عناء كبيرا." ثم أردف يقول:

"لو طلعت إلى مملكة السماء ومعي الكستنايات المائة التي زرعتماها لي، فمن المؤكد أنني سأنال الصفح والغفران. ولكنني لن أطلع."

"ولماذا؟" سأله والدا موروك بأعصاب متوترة، وقد راودتهما ثمة مخاوف من أن يكون النمر يدبر لهما متاعب جديدة. فأجابهما النمر:

"أفضل البقاء هنا في جبل كومكانغ. سأكون أهنأ وأسعد كنمر على جبل كومكانغ من أن أعيش في السماء حيث لا خضرة ولا ماء." قالها النمر وهو يتفرس في وجهي أبي موروك وأمه كما لو يسألهما رأيهما في الأمر.

فانفعل الزوجان أعمق الانفعال لكلامه هذا.

(لكم هو جبل كومكانغ ساحر خلاب حتى يخلص النمر إلى مثل هذا القرار!!))

وكانا كلما تفكرا بهذا، كلما ازدادا فرحة وافتخارا بعيشهما في أحضان جبل كومكانغ.

"أنت على حق فيما تقول أيها النمر!"

"بالتأكيد. فالعيش في ربوع جبل كومكانغ بروابيه الساحرة ومياهه الصافية لأفضل بألف ألف مرة من العيش في مملكة السماء القاحلة!"

فربت الزوجان على ظهر النمر استحسانا.

وفيما بعد، أطلقا على الشجرة التي وجداها في الأجمة اسما جميلا هو كستناية "نودو"، واستنبطا منها عددا كبيرا من النصبات وغرساها في كافة وديان جبل كومكانغ. وحتى يومنا هذا، لا زالت كستنايات "نودو" تتمايل بأغصانها الخضراء الظليلة في وديان ذلك الجبل العظيم.

الإخوة الثلاثة والمهر المشاكس

يحكى أنه كان في أحد الأزمان ثلاثة إخوة أشقاء يعيشون معا في الوادي أسفل قمة سايزي عيشة ملؤها السعادة والهناء.

في النهار، كانوا يساعدون والديهم إما بفلاحة الحقول أو بجمع الحطب.

وعندما يرخى الليل سدوله، كانوا ينصبون قنديل زيت الراتنج على الصخرتين التوأم القائمتين عند طرف الحوش ويأخذون بالقراءة: "جبل، جبل، جبل كومكانغ ... أجمل الجبال جبل كومكانغ."

كان الكثير من حيوانات جبل كومكانغ البرية تأتي وتتحلق حول قنديل الزيت المضاء في دجنة الليل.

الأيائل والسناجب والماعز كانت تغشى المكان، والبوم أيضا دأبت على ارتياده. وحين ترى الإخوة الثلاثة مستغرقين هكذا في القراءة، كانت تتركهم وشأنهم ظنا منها أنها لربما تزعجهم بوجودها، وهذا ما لا تريده بأي حال.

وذات ليلة، صدف أن لمح مهر ضوء قنديل الزيت من بعيد، وكان يعدو بصخب في أثر أمه، متنقلا من قمة إلى قمة في كومكانغ الخارجي لتقسية حوافره.

"ما رأيك يا أماه، سأطفئ ذاك الضوء هناك برفسة واحدة من حوافري، هيه؟" سأل المهر أمه وهو ينقر بحافره على الصخرة.

المهر المشاكس، المولع بالأذى، ما إن شاهد ضوء قنديل الزيت حتى استبدت به رغبة شديدة في مهاجمته.

"حاول، هيا!" ردت الفرس وهي ترنو إلى مهرها بنظرة ارتياح وتهز رأسها علامة الموافقة.

فقفز المهر راكضا نحو الصخرتين التوأم المنصوب عليهما قنديل زيت الراتنج مضاء، وتبعت الفرس مهرها عن كثب.

لكن المهر وأمه ما لبثا أن توقفا فجأة. إذ تناهى إلى أسماعهما من بين تضاعيف الظلمة صوت جهوري يقرأ: "أرض السندس الذهبي الجميلة بلادي! أفضل البلدان أنت يا بلادي!"

فنظرت الفرس ومهرها بعيون طارفة، فيشاهدان ثلاثة صبية جالسين جنبا إلى جنب وهم مستغرقون تماما في القراءة.

كان الصبية الثلاثة منكبين بكليتهم على القراءة، بحيث لم يفطنوا إلى وجود المهر وأمه خلفهم.

هم يقرأون وأصواتهم يترجع صداها عبر الوادي كأنها أغنية مرحة.

أرهف المهر وأمه آذانهما إلى أصوات الصبية الثلاثة، فإذا بموجة عاطفية قوية تكتسحهما.

"يا لهم من صبية جديرين بالثناء!" قالت الفرس هازة برأسها ثم غادرت المكان على السكت لئلا تزعجهم. بيد أن المهر ظل واقفا يستمع إليهم ولا يريم حراكا لكأنه مسمر بالأرض.

أرادت الفرس أن تنادي مهرها، لكنها امتنعت عن ذلك خشية من أن تزعج الصبية؛ لذلك، جعلت تومئ إليه برأسها المرة تلو المرة أن هيا نذهب من هنا.

والمهر منجذب بكل حواسه إلى ما يقرأون، وقد نسى تماما أن أمه تنتظره على الجانب المقابل من التلة.

ثم بدأ يردد من ورائهم: "جبل، جبل، جبل كومكانغ ... أجمل الجبال جبل كومكانغ."

لقد أضحى المهر الآن ثملا تماما بتلك الأصوات التي تتردد أصداؤها عبر الوادي لكأنها أنغام أغنية عذبة للغاية.

ولقد سلبته لبه قراءة الصبية الثلاثة حتى إنه لم يعد قادرا على الاستيقاظ ولا بعد أيام، ولا حتى بعد شهور، فكان أن تحول إلى صخرة.

والفرس التي وقفت تنتظر مهرها، استحالت هي الأخرى صخرة.

وما برحت "صخرة الصبية الثلاثة" و"صخرة المهر" و"صخرة الفرس"، القائمة عند منتصف المنحدر الصاعد إلى قمة سايزي، تحكي لنا هذه الأسطورة إلى يومنا هذا.

بنت "كومروسو"

عند عطفة على الطريق المؤدي إلى ممر أونزونغ من القرية التي تحمل الاسم ذاته، يجد عابر السبيل عين ماء صغيرة تنبع منها المياه على مدار السنة من غير أن تنضب ولو يوما واحدا.

هناك حكاية عن عين الماء الصغيرة هذه تحكي عن رقة وطيبة قلوب أهالي تلك المنطقة الذين طالما هاموا حبا بجبلهم، جبل كومكانغ.

كانت هناك صبية تدعى نو أول تقطن كوخا بجانب الطريق عند سفح ممر أونزونغ الجبلي. وكانت تقوم على عين ماء موجودة على جانب الطريق تدل إليها السابلة والمسافرين الرائحين والآتين عبر ممر أونزونغ، وبيدها دائما مغرفة من القرع الجاهزة لغرف الماء الزلال وتقديمه لهم عن طيب خاطر.

وذات يوم صيفي قائظ، كانت نو أول قد نظفت لتوها عين الماء وفرشت قاعها بالحصى الناصعة البياض حين ظهرت كوكبة من الخيالة قادمين نحوها خببا وسط زوبعة من الغبار.

"ناوليني شربة ماء يا بنت!" صاح قائد كوكبة الفرسان، وهو ينظر إليها من على صهوة جواده ويتلمظ بشفتيه عطشا.

ومن ثيابه المرتشحة كلها بالعرق، استخلصت نو أول أنه لا بد قد قطع مسافة بعيدة.

"حاضر يا سيدي."

بذلك أجابته وتقدمت من عين الماء وغرفت من مياهها الصافية بمغرفتها وقدمتها إلى قائد كوكبة الفرسان.

وحين علم أن الصبية الصغيرة تعتني بعين الماء لخدمة السابلة والمسافرين، أثنى عليها القائد ثناء عاطرا وقال لها بالحرف: "أنت بنت طيبة. نعم ما تفعلين!"

القائد المسرور طلب شربة ماء أخرى. وكان الماء باردا كالثلج وطعمه عذب للغاية.

فضرب قائد الفرسان على ركبته وصاح في إعجاب:

"ماء هذه العين، والحق يقال، كومروسو"، أي مثل ندى العسل.

ثم التفت إلى فرسانه وقال وهو يضحك من أعماقه:

"منذ قديم الزمان وهم يقولون إن شربة واحدة من الكومروسو تديم عليك ثوب الشباب إلى الأبد. فاشربوا من هذا الماء حتى الارتواء يا رجال."

فشرب رجاله من الماء الذي قدمته لهم نو أول وتبردوا بعض الشيء.

ثم انطلقوا هملجة نحو ممر أونزونغ، ومنه اندفعوا إلى ساحة المعركة لدحر العدو.

والفرسان الذين استمدوا قوة وشجاعة من ذلك السلوك الجدير بالإكبار الذي لاقوه من الصبية المجهولة التقوا بها عند عين الماء بجانب الطريق، لم يمهلوا العدو فأقبلوا كالأسود يحصدون الغزاة الأجانب حصد الغراس. وبعد ما أبادوهم عن بكرة أبيهم عادوا أدراجهم عبر الممر.

كانت نو أول واقفة بجانب عين الماء كعادتها، فحيت الفرسان المنتصرين بفرح غامر وهللت لهم تهليلا حارا.

قفز قائد كوكبة الفرسان من على صهوة حصانه وهو جذلان، وربت على كتف نو أول بحنان ظاهر وقال لها ضاحكا:

"إنك لبنت طيبة حقا أيتها الصبية! لقد شربنا الماء الذي أسقيتنا إياه، فإذا بنا نصير جميعا مقاتلين صناديد."

وقد سمى الناس فيما بعد ذلك الينبوع المغمور "كومروسو"، أي مياه الشباب السرمدي، لأنه تشرب بروح نو أول النبيلة التي أحبت جبل كومكانغ بكل جوارحها، وسموا حتى قريتها بقرية كومروسو.

صخرة أونسون

يحكى أنه كان في زمن من الأزمان حورية تدعى تشايسون تعيش في كورة صغيرة على إحدى النجوم. وكانت تشايسون هذه تقوم على خدمة الجد بالمانونغ (أي المعمر ٨٠ ألف سنة). وقد سمي بهذا الاسم لأنه ما برح يعيش في تلك الكورة منذ ثمانين ألف عام.

كان الجد بالمانونغ يمتلك معظم كنوز السماء تقريبا، إلا أنه لم يكن مع ذلك قانعا بها. لذا، أرسل تشايسون إلى القمر مرة لتأتي له بثمار القرفة من هناك، كما بعث بها إلى الشمس لتحضر له حجارة نارية يتدفأ بها.

وذات يوم سمع العجوز الهرم أنه إذا حدق في مشكاة من الخرز يتحسن بصره.

فطلب من تشايسون أن تذهب إلى نهر المجرة لتحضر له من هناك بعض خرز درب اللبانة.

وبالفعل، طارت تشايسون إلى نهر المجرة بغلالتها المجنحة، وقامت بجمع كل الخرزات الموجودة هناك. ولم يكن عدد حباتها يزيد

عن العشرة. صرت الخرزات بطرف تنورتها. وفي طريق عودتها، تعثرت لسوء حظها بإحدى الغيوم، فوقعت منها حبات الخرز كلها. فانزعجت تشايسون أيما انزعاج، وحارت ماذا تفعل.

حين عادت إلى كورتها وأخبرت العجوز بالمانونغ بصوت مضطرب متلعثم أنها أضاعت الخرزات في طريق العودة، صرخ العجوز بها في غضب مستطير:

"ويحك! كيف أضعت الخرزات؟"

وبقي يحدجها بنظراته الساخطة برهة، ثم تناول بلورة البروج التي يقتنيها ونظر من خلالها فيما تحت السحاب.

وبعد ما حدق في البلورة لبعض الوقت بحثا عن الخرزات الضائعة، رفع العجوز بالمانونغ رأسه وقال لها بنبرة صارمة:

"خرزات درب اللبانة التي أوقعتها استقرت في بركة مياه رائقة بواد في جبل كومكانغ. فهيا انزلي بسرعة وأحضريها قبل أن يعثر عليها أحد."

وهكذا أرسل العجوز الحورية تشايسون إلى جبل كومكانغ.

نزلت تشايسون إلى جبل كومكانغ بعربتها الطائرة، وحطت من بقعة بالقرب من صخرة تشيلبو في وادي سونغريم الواقع في كومكانغ الخارجي، وسرعان ما سحرت بالمناظر الخلابة المفرودة أمام عينيها: قمم مخددة متسامقة تزركشها الزهور والورود الزاهية؛ صخور جلمودية تعلوها أشجار صنوبر عمرها مئات السنين تمد أغصانها المخضوضرة في كل اتجاه...

وثمة شلال يهوي من أعلى الجرف ترتج لدويه الأرض والسماء ويرسل رذاذا لكأنه السديم الحليبي؛ وفوق الضباب السديمي هذا يرتفع قوس قزح بديع في قنطرة مسبعة الألوان يجل حسنها عن كل وصف.

تحت سحر هذه المناظر الفاتنة التي استقبلها بها جبل كومكانغ، نسيت تشايسون المأمورية الأصلية التي جاءت من أجلها، فلبثت وقتا طويلا سارحة البصر ساهمة الفكر. ثم انتبهت إلى نفسها فجأة، فمضت

في الحال لتبحث عن البركة التي تحدث عنها العجوز.

وبعد لأي، عثرت تشايسون على خرزات درب اللبانة وقد استقرت في قاع بركة مياه زرقاء صافية كالبلور؛ بدا لها أن البركة تزيد عن القامتين عمقا.

لكن تشايسون لا تحسن الغطس فوقفت عند حافة البركة برهة مديدة تحدق في الماء وهي تتنهد تنهدات عميقة وتسائل نفسها كيف عساها تلم الخرزات من تحت الماء.

وفيما هي على هذه الحال، إذا بها تسمع صوت قرع طبول آتية من السماء. كانت إشارة من العجوز بالمانونغ يحثها بها على العودة سريعا ومعها الخرزات.

فارتبكت تشايسون واعتراها اكتئاب، فجعلت تلف وتدور حول البركة نافدة الصبر. لكن لملمة الخرزات من قاع البركة كانت فوق طاقتها. ومن فرط التياعها، غطت وجهها بكلتا يديها وأخذت تنتحب وتشهق، وكتفاها تنتخعان بشدة.

في تلك اللحظة، سمعت صوت أقدام تقترب خلفها. فاستدارت مستطلعة في انشداه وذعر.

"ويحي!" صرخت من هول اضطرابها.

لقد لمحت فتى يحمل شقعة حطب على ظهره ويفشخ فشخات واسعة متجها صوب البركة حيث تقف.

كانت تلك أول مرة يقع فيها بصر تشايسون على كائن بشري، فلا غرو أن تصعق وتصطك ركبتاها فرقا. وقد ارتاعت أكثر وأكثر حين تصورت أنه سيرى خرزات درب اللبانة ويأخذها.

"من تكونين أيتها السيدة الشابة؟" سألها الفتى بهدوء. ولكن، كما لو قرأ ما يجول في رأسها، أسرع وابتسم لها ابتسامة وضاءة جعلت قلبها يطمئن. بدا الشاب ودودا جدا ولطيفا جدا حتى إن المخاوف التي اعترتها قبل ثوان زالت كلها.

"إنني حورية أدعى تشايسون أعيش على نجمة في السماء. وقد

جئت إلى هنا لألملم خرزات درب اللبانة التي وقعت مني." أخبرته تشايسون بأمرها مضرجة الوجنتين بحمرة الخجل وإن بدا القلق ظاهرا عليها نوعا ما.

"سألملم لك الخرزات، لا عليك يا آنستي الحورية".

وأنزل الفتى حمالته عن كتفيه ووضعها عند حافة البركة، ثم طلب منها أن تنتظر قليلا خلف الصخرة.

"يا له من فتى شهم!" قالت تشايسون في سرها. لأول مرة في حياتها تلقى عطفا ومعاملة كريمة من شخص آخر، فإذا بغصة تعلو حلقها من شدة التأثر، وما لبثت أن دمعت عيناها امتنانا وعرفانا لما رأته منه من كرم وشهامة. وبعدما هدأت من وجيب قلبها، شرعت تفكر كيف ينبغي لها أن تعرب عن شكرها وامتنانها للفتى حين رأته قادما نحوها حيث هي جالسة خلف الصخرة.

"ها هي!"، ووضع الشاب الخرزات في راحتيها.

"أوه، لكم أنت كريم!" صاحت تشايسون، والدنيا لا تسعها من شدة الفرح.

والفتى عندما رآها هكذا، تهلل وجهه بشرا وجعل يتملاها بعينيه.

وبغتة، سمع صوت قرع طبول مدو "بوم، بوم" يرعد السماء.

ما إن سمعت تشايسون هذا الصوت حتى تلاشت الابتسامة عن وجهها. (كيف أستطيع أن أرد له جميله هذا؟) هجست الحورية بذلك وقد انقبض حلقها وتورمت لهاتها .

وحزنت أشد الحزن لاضطرارها إلى الافتراق عن هذا الفتى الطيب من غير أن تجد حتى متسعا من الوقت لتبادل حديث ودي معه.

فمشت تشايسون بخطى متثاقلة إلى حيث تركت غلالتها المجنحة على شجرة هناك. بيد أن يديها لم تطاوعاها في تجهيز العربة للطيران. فلبثت واقفة هناك ترنو إلى الفتى بتحديقة ولهي.

هنا علا قرع الطبول في السماء أكثر من ذي قبل. فأسرعت تشايسون تركب العربة مبهوتة وكتفاها تنتخعان.

"حظا سعيدا أيها الفتى الطيب!" صاحت تشايسون بصوت حزين من عربتها التي راحت ترتفع رويدا رويدا نحو أعالي السماء.

"وداعا يا آنسة الحورية!" ناداها الشاب وهو يلوح لها بيده طويلا فيما هي تحلق وتحلق في السماء.

بعد عودتها إلى نجمتها، لم تقدر تشايسون على نسيان فتى جبل كومكانغ حتى لحظة واحدة.

وأخذ حنينها إلى الفتى يشتد مع مرور الأيام. ولم يعد بمقدورها أن تكبح أكثر من ذلك عواطفها الجامحة نحوه. فأخذت تراودها رغبة شديدة في العودة إلى جبل كومكانغ والتحدث إليه.

لكن تشايسون، وخوفا من الجد بالمانونغ، لم تكن تجرؤ على الإفصاح عن رغبتها هذه.

وذات مرة، غادرهم العجوز بالمانونغ في رحلة طويلة إلى القمر لحضور حفل عيد ميلاد الجد كيسو هناك.

فانتهزت تشايسون هذه الفرصة ونزلت إلى جبل كومكانغ بعربتها الطائرة. كان الفتى عائدا إلى بيته وعلى ظهره حمالة ملأى بالحطب عندما التقى بالحورية تشايسون عند البركة إياها، فسر أيما سرور بهذا اللقاء غير المنتظر.

وتشايسون، هي الأخرى، كانت جد سعيدة برؤية الفتى مجددا، حتى إن قلبها راح يخفق خفقانا شديدا تحت وطأة الجيشان العاطفي. فأخبرت الشاب عن رغبتها اللاعجة في العيش في جبل كومكانغ. فأشرق في محياه ضياء البشر حين سمع منها ذلك. بيد أن تشايسون أمضت عدة أيام وهي فريسة القلق، لأن العجوز بالمانونغ حاول جاهدا أن يشرقها بواسطة ريح عاتية ويعيدها إلى النجمة غصبا عنها.

لكن تشايسون حالت دون ذلك بأن اختبأت بين الصخور عند حافة البركة حيث أوقعت خرزات درب اللبانة. فبلورة البروج لم تستطع اكتشافها في مخبئها، والريح العاتية التي نفخها العجوز الهرم لم تتمكن من الوصول إليها.

فبنى الشاب كوخا صغيرا مكنكنا للحورية خلف الصخرة لكي تتفادى أبصار العجوز بالمانونغ. وفي ذلك الكوخ، عاشت تشايسون تطبخ وتحيك النسيج وتزرع سوية مع الفتى.

فسمى الناس فيما بعد الصخرة التي عاشت تشايسون خلفها "بصخرة أونسون"، أي الصخرة حيث اختبأت الحورية.

القضاعة الماكر

كان يا ما كان في قديم الزمان قضاعة يستوطن بركة ماء صغيرة عند سفح جبل هالا في جزيرة زيجو.

وذات عام، حل قحط شديد، فشحت الأمطار ونضبت مياه البركة.

فلم يعد بمقدور القضاعة أن يعيش هناك بعد الآن، فغادر بركته العزيزة على قلبه حيث اجتاز البحر متجها إلى البر الرئيسي.

والقضاعة ذكي لكنه رعديد. فعاش مختبئا باستمرار في الجبال، مخافة أن يعثر عليه الناس ويسلخوا جلده. فكان أن حرم بذلك من أكل السمك الذي يحبه حبا جنونيا.

فمضى القضاعة ينتقل شمالا من مكان إلى مكان بحثا عن بقعة يكثر فيها السمك. فوصل به الموصل إلى جبل كومكانغ واستقر هناك حيث قضى وقتا ولا أسعد. فكل الجداول التي تنساب نازلة من الوهاد والوديان تعج بالأسماك، وهذا ما أتاح له أن يأكل كل أنواع السمك الذي يشتهي.

كان راضيا بعيشته هذه تمام الرضا، بل قل سعيدا كل السعادة؛ كيف لا وهو يأكل كل يوم حتى الشبع، ويستمتع فوق ذلك بمشاهدة

مناظر جبل كومكانغ الساحرة من حوله.

وذات يوم، خرج القضاعة إلى أحد الجداول حيث صاد بعض السمك وأكله حتى انتفخ. فجلس على صخرة هناك يلعق شفتيه وينظف فمه، حين سمع على حين غرة زمزمة نمر مخيفة خلفه. التفت إلى الوراء فرأى نمرا ضخما بحجم الثور يخرج إليه من قلب الدغل.

فارتاع القضاعة ارتياعا مهولا وأسرع بالاختباء خلف الصخرة. ومن نكد حظه أن النمر لم يجد مكانا يتوجه إليه سوى تلك الصخرة بالذات.

"تعسا لي من ورطة!" دمدم القضاعة في سره، غير قادر حتى على التنفس كما ينبغي من شدة خوفه. والنمر في أثنائها يتلفت حوله ويتنشق، كما لو كان اشتم شيئا ما.

فانخطف لون القضاعة للهلع الذي أصابه وتملكته حيرة لم يعد يعرف معها ماذا يفعل. فلو عثر عليه النمر، ستكون تلك نهايته حتما.

(ويحي ماذا أفعل؟) سأل القضاعة المذعور نفسه. (يجب أن ألجأ إلى حيلة ما، وإلا...)

فأقبل القضاعة الماكر يحك دماغه وعيناه تطرفان دونما توقف. وفجأة خطرت له فكرة.

وبالكاد يستطيع تهدئة الوجيب الصاخب في قلبه، صرخ القضاعة من مخبئه خلف الصخرة:

"أ هو نمر قدم إلينا؟"

فجمد النمر في مكانه بمجرد سماعه الصرخة من خلف الصخرة.

(من ذا الذي يجرؤ في الدنيا على الصراخ بي أنا ملك الجبال؟ لو أجده لالتهمته في الحال!) دمدم النمر بينه وبين نفسه وهو يحملق حوله مغضبا.

فصكت أذنه زعقة حادة ثانية:

"الام تنظر حولك أيها الخبيث؟ ألا تراني أقف أمامك؟ "

فنظر النمر أمامه، فلم ير غير صخرة كبيرة. وهذا ما ضاعف من

ذهوله وارتباكه. فصرخ القضاعة المختبئ مجددا:

"إني رجل من السماء، وقد جئت لأصطاد نمرا بناء على أوامر ملك السماء. وها أنذا ألتقي بك صدفة أيها الوغد. علي أن أمسك بك من رقبتك حالا وأقتادك إلى السماء. فهيا تقدم من الصخرة على عجل!"

ما إن سمع النمر ذلك حتى ارتعدت فرائصه وارتعشت مفاصله، وقال محدثا نفسه: (أستطيع سماعه ولكنني لا أراه بتاتا، فلا بد أن يكون مبعوثا من ملك السماء بحق وحقيق).

وعاودته تلك الرعشة الباردة وأخذت ركبه تصطك تحته. فسأل بصوت باك:

"وما يوجب عليك اقتيادي، هيه؟"

"لا تجادل أيها الوغد!" صرخ القضاعة بغضب، وضرب الصخرة بكل عزمه بنبوت يابس "طاخ!"

قدة من النبوت المنكسر طارت عاليا ثم نزلت على أرنبة أنف النمر. فزعق هذا من هوله "آخ!" وأخذ يعدو كالمسعور نحو أعالي الوادي وهو لا ينفك يصيح من شدة الألم. ركض النمر للنجاة بروحه الغالية، غير مكترث بالعياص الشائكة التي تمزق جلده.

فجاء أرنب بري يعدو خلف النمر، وصاح وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة:

"تحياتي أيها السيد النمر! ترى ما الذي يخيفك إلى هذا الحد؟"

"أوه، أنت أرنب! كنت خائفا فعلا. الحقيقة وما فيها أنني ...." وقص النمر على الأرنب البري ما حدث له قبل هنيهة.

عندما سمع الأرنب البري القصة، لم يتمالك نفسه عن الضحك والقهقهة عاليا، مما أثار استغراب النمر. ضحك الأرنب لأنه رأى من بعيد كيف لعب القضاعة لعبته الماكرة على النمر.

"ها، ها، ها! كذب وبهتان ادعاؤه بأنه مرسل من ملك السماء. تلك حيلة ماكرة من تدبير القضاعة لكي يتفادى ابتلاعك له يا حضرة النمر. عيب عليك وأنت النمر، ملك الجبال، أن تفر مذعورا هكذا بعدما

انطلت عليك خدعة قضاعة ليس إلا."

هكذا راح الأرنب البري يسخر من النمر سخرية مهينة وهو يمد له لسانه ازدراء. بيد أن النمر لم يصدق حرفا مما قاله الأرنب.

"إذا كنت لا تصدقني، فلنذهب لأثبت لك صحة كلامي. لو ترك هذا الحيوان المخادع وشأنه، لربما تسبب بما هو أدهى وأخطر!" تمتم الأرنب متورد الوجه، والغيرة تتآكله من براعة القضاعة في الغواية والخداع.

"يبدو أنك غير مصدق كلامي حتى الآن. دعنا نربط ذيلينا ببعض ونذهب ونرى. فإذا كان حقا مرسلا من ملك السماء فلن يكون في مقدوري الهرب، أليس كذلك؟" بهذا المنطق حاجج الأرنب البري النمر ومن ثم ربط ذيله بذيله.

فقال له النمر: "لا شك في أنك أذكى حيوان في جبل كومكانغ. وعليه، فإن ما تقوله يبدو منطقيا." ومضى معه نازلين إلى الجدول وهو لا يكف عن التهويش من فرط حنقه على حيلة القضاعة التي انطلت عليه.

في تلك الأثناء، كان القضاعة، برغم نجاحه في خداع النمر، فريسة الهلع الشديد إلى حد صار معه نصف مخبول وما برح يتسكع صاعدا نازلا على ضفة الجدول. ولما رأى الأرنب يتكركس نحو الجدول برفقة النمر، كادت تصيبه سكتة قلبية.

(ذلك الأرنب اللعين لا بد وإنه أقنع النمر بالرجوع!) هذا ما خطر في بال القضاعة، فأسرع بالتواري وراء الصخرة من جديد.

(سألقن الأرنب الماكر درسا هذه المرة!)

قال ذلك لنفسه وصاح بصوت عال: "أ ليس أرنبا من جاء صوبنا؟ كان من المفروض أن يقدم جدك وأبوك ثلاثين جلد النمر إتاوة إلى ملك السماء. لكنهما بعدما قدما تسعة وعشرين انقطعت أخبارهما نهائيا ولم نعرف السبب قط. فلعلك جئت أنت لتقدم الجلد الثلاثين نيابة عن جدك وأبيك على ما أظن."

دهش الأرنب البري لما وجد القضاعة على هذه الدرجة من المكر والدهاء، فهمس في أذن النمر:

"لا تصدقه يا سيدي النمر. إنه يحاول إيقاعك في أحبولة جديدة من أحابيله." فعاجله القضاعة بالقول من مخبئه خلف الصخرة:

"إنك لرائع أيها الأرنب! أن تأتيني بالنمر حيا، فذلك لما ينم عن مدى مراعاتك لمشاعر الآخرين. إنني أشعر بجوع شديد، لذا سأعمل على سلخ النمر كي أشويه وآكله في الحال ومن ثم أحمل جلده إلى السماء."

فانخلع قلب النمر لهذا القول، وأطلق صرخة فزع مستطير. ثم التفت وحدج الأرنب البري بنظرات كلها تهديد ووعيد قبل أن يزعق فيه بأعلى صوته:

"يا لك من ماكر! لقد استدرجتني إلى هنا عن عمد أيها الخبيث!"

أيقن النمر عندها أنه قد وقع مجددا في شراك الرجل المرسل من السماء، فما كان منه إلا أن أحنى رأسه وأركن إلى الفرار. عندها صاح الأرنب في ذعر:

"أوه، هذا ليس صحيحا يا سيدي النمر. انتظر لحظة أرجوك! تلك مكيدة بغيضة أخرى من مكائد القضاعة! توقف أرجوك..."

لكن النمر لم يلتفت إلى توسلات الأرنب، واندفع يقفز داخل الغابة كالبرق الخاطف. وفيما الحيوان العتعيت يندفع كالإعصار ويقفز قفز المسعور، راح الأرنب، المربوط ذيله بذيل النمر، ينجر خلفه بسرعة جنونية وهو يرتطم بالصخور المدببة ذات اليمين وذات الشمال حتى تمزقت شفتاه شر ممزق.

"توقف! اسمعني أرجوك..." الأرنب يوالي توسلاته بصوت كئيب، وهو ما انفك مربوطا بذيل النمر. ولأن شفتيه تشرمت وتدمت، لم يعد قادرا على النطق كما ينبغي، فإذا بأصوات أشبه بالتعتعة تخرج فقط من فمه.

غير آبه البتة بصيحات الأرنب البائسة، واصل النمر الهائج

اندفاعه بأقصى سرعة. وعندما بلغا حافة الأخدود، كان ذيل الأرنب قد انقطع.

فأمسك الأرنب المسكين شفتيه المتشرمتين بيد وقفاه المسلوخ بيد، وراح يصرخ من هول الألم.

وبعد حين، غمغم الأرنب في التياع وقد ستر فمه بكلتا يديه؟

"وا مصيبتاه! دهاء القضاعة غلبني وقصم ظهري!"

أما القضاعة الذي استخدم دهاءه لينزل بالنمر والأرنب البري معا مثل تلك النازلة المريرة، فقد عاش مديدا مديدا في جبل كومكانغ لا يعكر صفوه معكر.

الدب المتحسر على أكل البلوط

الصاعد إلى قمة زونغكوانئوم في جبل كومكانغ لا بد أن تسترعى انتباهه صخرة عجيبة الشكل تربض في منتصف الفرضة... تلك هي "صخرة الدب"؛ وقد سميت كذلك لأنها تشبه دبا يلتع عنقه وقد فتح شدقيه عن آخرهما.

هذا الدب الذي يفوق بضخامته الكوخ، ترى لماذا استحال صخرة وهو على تلك الحال ينظر تحته إلى الوادي بحسرة فاغر الفم؟

إليكم قصته:

يحكى أنه كان في أحد الأزمان دب يعيش في كهف عميق بولاج الوادي الواقع أسفل قمة بيرو. وذات يوم، وكان الربيع بعد في أوائله، استيقظ الدب من نومته الشتوية الطويلة في كهفه الغائر ودلف إلى الخارج.

همدر الدب وهو يمسد بطنه الخاوي "ياه، لكم أنا جائع!"

وانطلق من فوره بحثا عن شيء يقتات به.

دار حول سفح قمة أوكريو ثم بلغ أطراف وادي كانون حيث راح يبحث تحت كل صخرة عن طعام. غير أنه لم يتمكن من العثور على أي شيء يؤكل.

استمر بطن الدب الخاوي يقرقر"قر .. ق، قر .. ق" كأنه يستجير بصاحبه أن ينجده بشيء. فتسلق الدب الرابية تحت قمة زونغكوانئوم، ثم قعد هناك ينظر كئيبا إلى قمة سوزونغ السابحة في ضياء الشمس ويداري آلام الجوع بلعق أخمص قدميه. خيل له أنه لا بد وأن يكون هناك على الأقل عشب نضير على المنحدرات المشمسة لتلك القمة المستحمة بأشعة الشمس الدافئة.

فنهض على قدميه بتثاقل ومضى نازلا من الرابية يريد التوجه إلى قمة سوزونغ. وفيما هو يدب في طريقه إلى هناك، إذا به يسمع فجأة صوت مياه جارية. توقف في الحال وأرسل ناظريه إلى كعب الوادي من حيث تسمع خرخرة المياه. فإذا به يصيح في دهشة:

"ياه! يا لها من أكلة حرزانة هناك!"

فقد وقعت عيناه على كومة كبيرة من حبات البلوط ترقد في المياه الصافية لبركة مونزو القابعة في أسفل الوادي. وحسب للوهلة الأولى أنه لا بد أن يكون هناك أكثر حتى من عشر "مالات" من حبات البلوط في البركة. فتمتم في سره وهو يبلع ريقه بصعوبة: (حسنا، أظنها ستكفيني لعدة وجبات.)

ثم قفز قفزة هائلة صوب بركة مونزو. لكنه قصر عن بلوغ البركة وحط عند منتصف الفرضة، محدثا لدى ارتطامه بالأرض صوتا مكتوما. لقد وقع الدب في ورطة حقيقية. فإحدى ساقيه الخلفيتين غرزت عميقا في فلع في الصخر. حاول جاهدا أن يسحب ساقه، ولكن كاحله كان من الغور في الفلع بحيث استحال عليه حتى أن يتزحزح قيد أنملة من مكانه.

في المياه الرائقة لبركة مونزو، كانت حبات البلوط المثيرة

للشهية تتقلب وتتدحرج كأنها تومئ للدب أن يتقدم ويأكلها؛ والدب، لا يستطيع التزحزح من مكانه، يلتع عنقه وينظر إلى حبات البلوط في الماء وهو يتحرق رغبة شديدة فيها.

(ويحى، إنني أتضور جوعا وبدأ الألم ينهش بطني الآن. فكيف أفعل لآكلها؟) تساءل الدب وقد مد عنقه أكثر إلى الأمام وفتح فمه المتحلب على وسعه.

بيد أن التي كان الدب يتحرق كل هذا التحرق ليأكلها لم تكن حبات بلوط.

فبعد شتاء طويل أمضاه الدب في كهفه لا يفعل شيئا سوى لعق أخمص أقدامه، تراءت له الحصى الصغيرة في مياه بركة مونزو الرقراقة على أنها حبات بلوط.

وإذ وجد أنه من المتعذر عليه أن يحرر قدمه من الشق الصخري، صاح الدب بصوت عال وعيناه لا تحيدان عن "البلوطات" في بركة مونزو:

"يا بلوطات، يا بلوطات، طيري بحق السماء وحطي في فمي!"

في تلك اللحظة، سمع الدب قهقهة فوق رأسه.

رفع رأسه، فرأى ذعرة تربخ على غصن شجرة وهي تغشي من الضحك.

"يا له من أمر مضحك! أو تظنها بلوطات يا حضرة الدب؟" ابتدرته الذعرة هذا السؤال الهازئ، ثم تابعت القهقهة وذيلها لا يكف عن الانتفاض.

"إذا لم تكن بلوطات، فماذا تكون إذن؟" سألها الدب وهو يطرف عينيه كمن يشك في ادعائها.

"قلت لك هذه ليست بلوطات؛ إنها حصى، حصى يا حضرة الدب!"

وبعينين جاحظتين، نظر الدب في تحديقة طويلة إلى بركة مونزو للتثبت، ثم التفت إلى الذعرة. رمقها بنظرات هزء وازدراء وشخر بها:

"يبدو أنك شخت وبصرك ضعف يا سيدتي الذعرة! شد ما أنت غبية أن تخطئي وتخمني هذه البلوطات الشهية حصى!"

وفرقع الدب بلسانه تقريعا لها. ثم استجمع قواه ومط نفسه، وبفم فاغر حاول الكرة تلو الكرة أن يخلص قدمه من شق الصخر.

وترادفت عليه، وهو على تلك الحال، سنوات عديدة. والدب العاجز عن تخليص قدمه من فلع الصخر وعن أكل حتى حبة بلوط واحدة، تحجر تدريجيا واستحال بدوره صخرة.

رقم: ١٠٧٢٣٩

بيونغ يانغ · كوريا

١٩٩١